موسوعة العقيدة والأديان

علاء النحوي

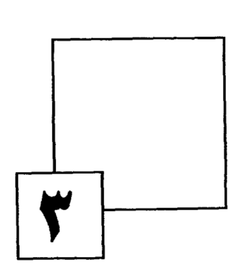
٣

مناهج البحث وآداب الحوار والمناظرة

د. فرج الله عبد الباري
أستاذ العقيدة والأديان



موسوعة العقيدة والأديان



مناهج البحث وآداب الحوار والمناظرة

د. فرج الله عبد الباري
أستاذ العقيدة والأديان



دار الآفاق العربية

نشـر - توزيـع - طبـاعة
٥٥ - ش محمود طلعت - من ش الطيران
مدينة نصر - القاهرة
تليفون : ٢٦١٧٢٣٩ - تليفاكس : ٢٦١٠١٦٤
E-mail : daralafk@hotmail.com

اسم الكتاب : مناهج البحث وآداب الحوار والمناظرة
اسم المؤلف : د. فرج الله عبد الباري

رقم الإيداع : ٢٠٠٤/١١٥٢٦
الترقيم الدولي : 7 - 087 - 344 - 977

الطبعة الأولى
٢٠٠٤م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله وحده وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم.. وبعد:

فهذه مباحث في مناهج البحث وآداب الحوار والمناظرة أردت أن يعرف طلاب العلم من خلالها أهم المناهج العلمية التي يستخدمها الباحثون في بحوثهم وقد راعيت قد المستطاع سهولة العبارات ووضوح الأفكار.

وقد قسمت هذه المباحث إلى قسمين:

القسم الأول: مناهج البحث العلمي. في المبحث الأول منه تناولت فيه علاقة الإسلام بالعلم وحثه عليه وكيف أن القرآن الكريم والسنة النبوية قد أطلقا العنان للمسلم للبحث في الكون وأسراره والأرض وكنوزها الأمر الذي جعل المسلمين يبحثون وينقبون ويجوبون مشارق الأرض ومغاربها وشملت بحوثهم الإنسان وضرورياته، والدين ومتطلباته، الأمر الذي جعلهم يسودون العالم وتكون كلمتهم هي العليا.

ثم تحدثت عن الكتابة والمكتبة في الإسلام والاهتمام الذي أولاه القرآن الكريم لوسائل المعرفة من قراءة وكتابة وغيرها وليس أدل على ذلك من قوله تعالى في أول سورة نزلت في القرآن الكريم: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق :١] وقوله تعالى: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم :١].

ثم تحدثت عن ازدهار حركة التدوين وأسبابها في عهد الرسول ﷺ ومن بعده خاصة في فترة ازدهار الخلافة الإسلامية إن في الشرق أو الغرب.

ثم تحدثت في المبحث الثاني: عن التصنيف عند المسلمين وتطوره في العصر الحديث وعرضت نموذجًا للتصنيف العشري عند «ديوي» وأوردت

أهم الملاحظات عليها.

ثم تحدثت عن فهارس المكتبة وأنواعها وما يجب على الباحثين تجاه الفنيين في المكتبات وأهمية الاستفادة منهم.

ثم تحدثت في المبحث الثالث: عن البحث العلمي وخصائصه وأهميته، وأنه لا مناص للمسلمين إذا أرادوا أن يكون لهم مكانة في العالم إلا بالاهتمام بالبحث العلمي ووسائله.

أما المبحث الرابع: فكان عن أهم مناهج البحث العلمي، أوردت فيه معنى البحث في اللغة والاصطلاح، ثم تحدثت بكلمة موجزة عن أهم المناهج السائدة في البحث العلمي مثل المنهج الاستقرائي والاستنباطي والمنهج التاريخي ثم تحدثت عن منهج البحوث في العلوم الدينية وأوضحت أهم الدعائم التي يدور حولها منهج البحث في العلوم الإسلامية.

وفي المبحث الخامس: تحدثت عن أهم صفات الباحث العلمي وتوقفت بوجه خاص عند واجبات طالب المعرفة عند «**برهان الدين الزرنوجي**» لأن كتابته في هذا الجانب تكتب بماء الذهب على صفحات القلوب على الرغم من أنه من أبناء القرن السادس الهجري إلا أن ما كتبه كأنما كتبه بالأمس القريب.

أما المبحث السادس: فكان عن أنواع البحوث العلمية كالبحث الوصفي والتاريخي والتجريبي أو التطبيقي وكالبحوث الجامعية مثل التخصص (الماجستير)، والعالمية (الدكتوراه).

وفي هذا المبحث تحدثت عن علاقة الأستاذ المشرف بالباحث وواجبات الطالب تجاه أستاذه وما يطلبه الباحث من أستاذه المشرف، ثم تحدثت عن خطوات إعداد البحث ومراحله، وبعد ذلك تحدثت عن أنواع المصادر والمراجع والفرق بينهما ثم توقفت عند مرحلة صياغة البحث وذكرت

علامات الترقيم ووجوب الاهتمام بهذه العلامات لدى الباحثين خاصة في مرحلة الدراسات العليا.

وآخر المباحث في القسم الأول: المبحث السابع: تحقيق المخطوطات فأوردت معنى التحقيق في اللغة والاصطلاح وشروط الكتاب المحقق والطرق المختلفة للتحقيق وخطوات تحقيق المخطوطات، وبهذا المبحث ينتهي القسم الأول.

أما القسم الثاني: فكان عن آداب الجدال والمناظرة:

في المبحث الأول: تحدثت عن الجدل وتعريفه في اللغة والاصطلاح وأنواع الجدل المحمود منه وضوابطه والمذموم ومظاهره.

أما المبحث الثاني: فكان عن الاختلاف والشقاق ومنشأ الخلاف بين الناس ومظاهره.

أما المبحث الثالث: فكان عن نماذج من الجدال والمناظرة على عهد رسول الله ﷺ خاصة في المرحلة المكية، وكانت هناك وقفات مع ما قاله رسول الله ﷺ في مجادلته للمشركين تمثلت في القواعد والأصول التي يجب على الدعاة أن يتعلموا منها وأن يسلكوها في حوارهم ومناظراتهم.

أما المبحث الرابع: فكان عن الخلاف والجدال في عهد الخلفاء الراشدين وقسمتها إلى اختلافات اجتهادية وأوردت ما ذكره «**الشهرستاني**» في الملل والنحل عن هذه الاختلافات وأن الغرض منها إقامة مراسم الشرع وإدامة مناهج الدين. وإلى اختلافات أصولية كالذي حدث من الخوارج مع الإمام علي رضي الله عنه ومناظرة ابن عباس رضي الله عنهما لهم وإفحامهم وإقامة الحجة عليهم.

وأخيرًا، هذه المباحث الفضل يرجع فيها إلى الله عز وجل أولاً، ثم إلى أساتذتي الأفاضل بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا الذين تلقيت عنهم أصول العلم الشرعي والمنهجي، وقد استفدت إفادة قصوى من تدريسي

لمادة البحث والمصادر أثناء فترة إعارتي لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض وكان لي شرف تدريس هذه المادة لطلاب الدراسات العليا بأقسام كلية أصول الدين بالرياض، وكان للإمكانيات المتاحة في عمادة المكتبات قسم المخطوطات، وكذلك مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات وقسم المخطوطات إمدادي بكثير من المعلومات خاصة عن تحقيق المخطوطات.

وآمل أن أوفق في تدريسي لمادة مناهج البحث لطلاب الدراسات العليا بقسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بطنطا وأن يكون هذا البحث نعم العون لهم في دراساتهم الحالية والمستقبلية إن شاء الله تعالى.

وما أبرئ نفسي إنني بشر أصيب وأخطئ ما لم يحمني القدر.

وأخيرًا جزى الله كل من كان سببًا في أن يرى هذا البحث النور خاصة زوجتي وأبنائي حيث وفروا الوقت، وشحذوا الهمم. جزى الله الجميع عني خير الجزاء. ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود :٨٨] .

أ.د/ فرج الله عبد الباري أبو عطا الله

أستاذ العقيدة والفلسفة

القسم الأول

مناهج البحث العلمي

المبحث الأول

الإسلام والعلم

إن أهم ما يميز الإسلام هو جانب الشمولية في تعاليمه، ، ونعني بالشمولية هنا أن الإسلام لا يحدد منطقة لله ومنطقة للإنسان، بل الأمر كله لله فأمر الحياة وعمارة الأرض للإسلام فيها توجيه يتمثل في القصد في الطلب وبذل أقصى الجهد لعمارة الأرض واستخراج خيراتها.

يقول تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك :١٥].

ويقول لقارون فيما يحكيه القرآن: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص :٧٧].

ومعلوم أن عمارة الأرض واستخراج خيراتها والتمتع بما أودعه الله فيها من كنوز لا يتم إلا بالعلم والمعرفة اللذين يحث عليهما الإسلام، ويكفي أن نعلم أن أول سورة نزلت على قلب محمد ﷺ بدأت بقول الله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق :١-٥].

بل إن آدم أبا البشرية ما استحق المنزلة العظيمة إلا بالعلم الذي علمه الله إياه يقول سبحانه: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة :٣١].

وجاءت الآيات القرآنية تحث على التدبر، والتعقل، والتعلم، والتذكر مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ﴾ [الأنعام :١١]، وقوله سبحانه:

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف :١٠٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [يوسف :١٠٤]، وقوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد :٣]، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [الروم :٢٢].

وجاءت الآية الكريمة التي تجمع شتى العلوم الزراعية منها والجيولوجية وعلم الأجناس البشرية، وعلم الحيوان، ثم تقرر أن العلماء أشد خشية لله لأنهم يعلمون بعض أسرار الله في خلقه وكونه ومن ثم فهم يتميزون عن غيرهم بالخشية والإجلال لله.

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝٢٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر :٢٧-٢٨].

هنا لم يحدد العلم بالعلم الديني فحسب وإن كان هو أشرف العلوم وأهمها، ولكن أي علم يوصل إلى خشية الله، واستكشاف سننه في كونه يحث عليه الإسلام ويرغب فيه الرسول ﷺ.

لأن النفس البشرية السوية يتجاور فيها حب المعرفة، وحب العبادة، لأن الفطرة تتطلع إلى ربها لتعبده، وتتطلع إلى الكون من حولها تحب أن تتعرف عليه وأدواتها الحس والعقل.. يقول تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل :٧٨][(١)].

غذى الإسلام أدوات المعرفة وأطلق العنان للإنسان للبحث والتنقيب لتحقيق الخلافة في الأرض بالعلم المؤدي إلى الخشية والإيمان والتسليم لله

(١) انظر مذاهب فكرية معاصرة ص (٥٠).

سبحانه وتعالى.

وقد فهم المسلمون الأوائل آيات القرآن الكريم واستوعبوا إشاراته فانطلقوا يبحثون وينقبون، مظهرين سنن الله في كونه وآياته في سمائه وأرضه، وقدموا للبشرية طرحًا جديدًا في العلم يتمثل في منهج البحث العلمي، مخالفين ما كان سائدًا عند اليونان من الاهتمام بالعلم النظري التجريدي الفلسفي، إلى العلم التجريبي، وكانت هذه نقلة هائلة في منهج البحث، هي التي أهلت البحث للآفاق الواسعة التي وصل إليها الغرب في القرون الأخيرة (١). وكان الذي حفز المسلمين للبحث في هذا الاتجاه آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول الكريم ﷺ.

يقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء :١٢].

وسوف نتحدث عن بعض العلوم التي برع فيها المسلمون بإيجاز.

١- علم الفلك:

انطلق المسلمون يبدعون في علم الفلك ليس لذات العلم كما يفعل البعض ولكن لأنه يبحث في معرفة السنين والشهور والمواقيت ولأنه من العلوم التي توصل إلى علم التوحيد وتعظيم الرب سبحانه.

يقول أحد رواد علم الفلك في الحضارة الإسلامية وهو «البتاني» (٢٤٤-٣١٧هـ): **«إن من أشرف العلوم منزلة وأسناها مرتبة وأحسنها حلية، وأعلقها بالقلوب وألمعها بالنفوس وأشدها تحديدًا للفكر والنظر وتزكية للفهم ورياضة للعقل بعد العلم بما لا يسع الإنسان جهله من شرائع الدين وسننه، علم صناعة النجوم لما في ذلك من جسيم الحظ وعظيم الانتفاع بمعرفة مدة السنين والشهور والمواقيت وفصول الأزمان،**

(١) واقعنا المعاصر ص (٩٠).

وزيادة الليل والنهار ونقصانهما ومواضع النيرين وكسوفهما ومسير الكواكب في استقامتها ورجوعها وتبدل أشكالها ومراتب أخلافها، وسائر مناسباتها إلى ما يدرك ذلك من أنعم النظر وأدام الفكر فيه من إثبات التوحيد ومعرفة كنه عظمة الخالق وسعة حكمته وجليل قدرته ولطيف صنعه» (١).

هنا البحث من أجل مقاصد شرعية لتحديد أوائل الشهور التي ترتبط بها عبادات كشهر رمضان وأشهر الحج، ولتحديد مواقيت الصلاة، ثم لمعرفة عظمة الخالق وسعة حكمته وجليل قدرته.

ولم يكتف علماء الإسلام بالاشتغال بعلم الفلك وإنما نقدوا النظريات التي توصل إليها علم الإغريق (٢).

وكانت البحوث الفلكية التي قام بها المسلمون تعود بالفائدة العلمية عليهم إذ كان لابد للمسلمين خاصة بعد الفتوحات أن يحددوا اتجاههم عبر الصحراء، ووسط أمواج البحار، وحينما راحوا يمخرون عباب البحار والمحيطات ويجوبون الشواطئ كان لابد لهم كي يحددوا موقع سفنهم من معارف عميقة وأدوات للقياس كالاسطرلاب الذي طوروه وعدلوه فاستطاعوا به قياس ارتفاع الشمس والقمر وبعض النجوم وسائر الكواكب وكذا الأمر فيما يخص البوصلة التي اخترعوها ونقلوها إلى الصينيين فيما بعد، أما التوجه إلى **«مكة»** للصلاة أيًا كان المكان الذي يقيم فيه الإنسان فيقتضي علمًا دقيقًا للتوجه في **«الحيز المكاني»**، وأما وجوب توقيت دقيق للصلوات الخمس اليومية فيتطلب معرفة موقع الشمس ساعة شروقها وغروبها وهذا ما يلزم كذلك لمعرفة توقيت الصيام والإفطار في رمضان وتحديد يوم العيد انطلاقًا من موقع القمر، وقد بلغت الدقة في البحوث الفلكية التي قام بها المسلمون دقة

(١) الزيج الصابئ للبتاني ص (٦) نقلاً عن النهضة الأوربية ص (١٠٤).

(٢) انظر نماذج متعددة لنقد العلماء المسلمين لنظريات الإغريق في كتاب النهضة الأوربية. دراسة نقدية ص (١١٠-١١٤).

متناهية، فقد قام الفلكي الأمير «**أولنغ بيك**» حفيد تيمور لانك بقياس السنة الشمسية وحسابها بخطأ (١٤) ثانية فقط بالقياس إلى حساباتنا الحالية [١].

٢- الرياضيات:

كان للمسلمين السبق في البحث في الرياضيات خاصة علم الجبر الذي اخترعه «**الخوارزمي**» لحل مسائل الميراث المتضمنة في علم الفرائض، وكان للعرب الفضل في وصول الأرقام العربية إلى أوروبا وكان الصفر الذي عرفه المسلمون عن طريق الهند إحداث ثورة في الرياضيات.

يذكر «**روجيه جارودي**» أن وصول ما يسمى بالأرقام العربية في الغرب وبالأرقام الهندية عند العرب إلى أوروبا عن طريق «**الخوارزمي**» ويتضمن كتاب «**سيدهانت**» الهندي الذي قدم إلى الخليفة المأمون والذي أحدث ثورة في الرياضيات في طريقة الترقيم العشري تقوم علي تسعة أرقام مضافًا إليها الصفر تسمح بالتعبير عن أي عدد من الأعداد، ثم إن «**الخوارزمي**» هو الذي لخص هذه الطريقة ووضع أسسها لتنتقل بعد ذلك إلى أوروبا من جامعة قرطبة على يد طالب راهب يدعى «**جربرت**» الذي أصبح فيما بعد البابا «**سلفستر الثاني**» هذه الطريقة أحدثت انقلابًا في الرياضيات وقد انتقلت إلى أوروبا كذلك بطريق صقلية، كتب العالم «**بوناش**» المولود في «**بيزا**» عام (١١٨٠م) يقول: «**إن الأرقام الهندية التسعة (١-٢-٣-٤-٥-٦-٧-٨-٩) مضافًا إليها علامة الصفر (٠) يمكن أن نشكل منها ونكتب ما شئنا من أعداد**».

ويلاحظ أن الصفر المرموز إليه بحلقة فارغة (٠) يعني عند الهنود العدم أو الفراغ وقد ترجمه العرب بمعناه الدقيق الأمين فسموه (الصفر) الذي يعني الخلو أو الفراغ في العربية [٢].

---

(١) ما يعد به الإسلام ص (١٢٨، ١٢٩) روجيه جارودي.

(٢) انظر ما يعد به الإسلام ص (١٢٥) روجيه جارودي، وانظر ص (١٢٦، ١٢٧).

يقول «داربر»: «ومن عادة العرب أن يراقبوا ويمتحنوا وقد أحبوا الهندسة والعلوم الرياضية، ومما تجدر الإشارة إليه أنهم لم يستندوا فيما كتبوه في الميكانيكيات والسائلات والبصريات على مجرد النظر بل اعتمدوا على المراقبة والامتحان بما كان لديهم من آلات» [١].

ونستطيع أن نقول إن الذين اخترعوا بالأمس في ظل الإسلام لديهم القدرة على أن يتفوقوا مرة أخرى في كنف هذا الدين إذا هم استمسكوا به، واستحضروا روح تعاليمه.

٣- العلوم الطبية:

الطب من العلوم التي يحتاج إليها الإنسان في معاشه وهي تعني في أبسط معانيها معالجة المرضى والمتألمين، والمصابين، ومن هنا كانت مهنة الطب مهنة إنسانية بالدرجة الأولى [٢].

وقد نشط بعض المسلمين للبحث في العلوم الطبية، وممارسة علاج المرضى بدقة متناهية، وهذا يدل على أن المسلمين الأوائل لم يقفوا مكتوفي الأيدي مكبلي العقول تجاه بعض العلوم التي تعد جديدة عليهم، فقد انطلقوا يستفيدون من غيرهم من الأمم وما هي إلا فترة وجيزة حتى استوعبوا ما حولهم ثم انطلقوا يبحثون ويجربون ويعالجون وأمكن أن يضيفوا جديدًا في الطب والعلاج، وإن ما استحدثه العرب من علاجات مختلفة للأمراض، وما استخدموه من أدوات جراحية وما كشفوا عنه من أسباب الأمراض ليدلنا دلالة واضحة على عمق وأصالة الطب في الدولة الإسلامية، وقد نشأت مدارس للطب في العالم الإسلامي كان فيها التدريس على منهجين: منهج نظري في المدارس الطبية، ومنهج عملي للتدريب والتمرين يجتمع فيه الطلاب حول

(١) الإسلام والحضارة العربية (١٢٨/٣) محمد كرد علي، لجنة التأليف والترجمة القاهرة سنة ١٩٦٨م.

(٢) انظر في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية ص (٧) د/ عامر النجار، الناشر دار المعارف.

رئيس الأطباء فيرون كيف يفحص المرضى، وما يصف لهم من العلاج وإذا أجاز الطلاب مدة الدراسة تقدموا للامتحان ثم أقسموا اليمين «عهد أبقراط» ونالوا الشهادة ثم إذا هم بدءوا ممارسة التطبيب كانوا دائمًا تحت رقابة الدولة (١).

وقد نبغ كثير من الأطباء في الدولة الإسلامية منهم على سبيل المثال:

(١) أبو بكر محمد بن زكريا الرازي: الذي يعد من أعظم الأطباء المسلمين، وقد ترجمت أكثر كتب الرازي إلى اللغة اللاتينية، وطبعت عدة مرات في البندقية سنة ١٥٠٨م، وفي باريس ١٥٢٨م، وأعيد طبع كتابه الجدري، والحصبة سنة ١٧٤٥م، وظل مرجعًا في جامعة «لوفان» حتى القرن السابع عشر الميلادي.

وتذكر المستشرقة الألمانية «زيغرد هونكة» قبل ستمائة عام كان لكلية الطب بباريس أصغر مكتبة في العالم لا تحتوي إلا على مؤلف واحد هو: كتاب الحاوي في الطب «للرازي» وكان هذا الأثر العلمي الضخم يضم كل المعارف الطبية منذ أيام الإغريق حتى عام ٩٢٥م وظل المرجع الأساس في أوروبا لمدة تزيد على الأربعمائة عام بعد ذلك التاريخ دون أن يزاحمه مزاحم أو تؤثر فيه أو في مكانته مخطوطة من المخطوطات الهزلية التي دأب على صياغتها كهنة الأديرة قاطبة وهو العمل الجبار الذي خطته يد عربي قدير، ولقد اعترف اليونان بقيمة هذا الكنز العظيم وبفضل صاحبه عليهم وعلى الطب إجمالاً فأقاموا له نصبًا في وسط القاعة الكبيرة في مدرسة الطب لديهم، وعلقوا صورته، وصورة عربي آخر هو «ابن سينا» في قاعة أخرى كبيرة في شارع «سان جيرمان» حتى إذا ما تجمع فيه طلاب الطب وقعت أبصارهم

---

(١) انظر تاريخ العلوم عند العرب، د/ عمر فروخ ص (٢٧٦).

عليه ورجعوا بذاكرتهم للوراء يسترجعون تاريخها [١] وهذا من باب: وشهد شاهد من أهلها.

(٢) ابن النفيس: ولد سنة (٦٠٧هـ) وتوفى سنة (٦٨٧هـ) وكان لهذا العالم في الطب اكتشافات انتفعت بها أوروبا -في مدارسها- فهو الذي اكتشف الدورة الدموية الصغرى قبل أن يعرفها الأوربيون بثلاث مائة سنة[٢].

ويعد «**ابن النفيس**» أول عربي عرف وظائف الرئتين والأوعية الدموية وهو الذي مهد الطريق للطبيب الإنجليزي «**هارفي**» كي يكتشف الدورة الدموية الكبرى، وهو أول من صحح الأخطاء الشائعة في حركة الدم وكتب أول وصف صحيح لحركة الدم في الجسم، وهو من أبرز من عرفوا علم وظائف الأعضاء وصحح بعض آراء «**جالينوس**» و «**ابن سينا**» في حركة الدم[٣] وهو حين يكتب يبدأ باسم الله وحمده والثناء عليه ويسأل الله التيسير، بينما نجد «**دارون**» يكتب في موضوع من طبيعته أن يثير الوجدان البشري، ويبعث القلب خاشعًا وهو علم الحياة، وخروج الحي من الميت، وخروج الميت من الحي، فلا يذكر اسم الله مرة واحدة، بل يقول: «**إن الطبيعة تخلق كل شئ ولا حد لقدرتها على الخلق**» إنه الفارق بين الهدى والضلال وهذا هو الفارق بين العلوم حين يشتغل بها المؤمنون والعلوم حين يشتغل بها الماديون.

ونسجل أنه كلما تقدم علماء الإسلام في الطب أو الفلك أو الجبر أو الهندسة ازدادوا قربًا من الله، على عكس أرباب الحضارة الأوربية كلما تقدموا في العلم التجريبي إذا بهم يُعرضون عن الله، ويصل بهم الأمر أن

---

(١) انظر: شمس العرب تسطع على الغرب ص (٢٤٣، ٢٤٦).

(٢) نفسه ص (٢٦٦-٢٦٨).

(٣) انظر للأهمية كتاب تاريخ الطب في الدولة الإسلامية ص (١٥٨) والكتاب حافل بما يعتز به المسلم في تقدم المسلمين في علوم الطب. جزى الله مؤلفه الدكتور عامر النجار خير الجزاء على جهوده المتميزة في هذا الشأن.

يتحدوا الخالق سبحانه في أسماء مخترعاتهم مثل تسمية بعض المخترعات بالمتحدي أو الذي يستغني بنفسه عن غيره.

إننا حين نذكر هذه النماذج نؤكد أن الإسلام هو الذي دفع هذه العقول للانطلاق للبحث والتجربة، وأنه كما يأمر أتباعه بالصلاة والزكاة وسائر فروض الإسلام يأمرهم بالبحث والنظر والتفكير والتدبر، وهذه الأمور كلها يعدها الإسلام عبادة يتقرب بها المسلم إلى الله إذا أخلص عمله لله، وقصد بتلك الأعمال تحقيق الخلافة عن الله في الأرض، واكتشاف سننه في كونه.

إن العلوم الدينية والعلوم التجريبية ليستا متعارضتين حيث يعتقد البعض أن الأولى خاصة بالنواحي الروحية وبالآخرة، والثانية خاصة بالنواحي المادية وبالدنيا، وهذا وإن كان صحيحًا إلى حد ما إلا أن المعرفة أو العلوم الدينية تنصب على شئون الحياة في الإسلام بنفس القدر الذي تنصب به على شئون الآخرة، كما أن العلوم التجريبية في الإسلام عون للإنسان المسلم على عبادة ربه وابتغاء الدار الآخرة بما يحصله منها من نتائج، فليس ثمة علوم دينية، وعلوم دنيوية[١]، ولكن العلم وطلبه فريضة ليست واجبة الأداء فحسب، ولكنها في المصطلح الإسلامي عبادة.

ولنتأمل قول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

فهل يستطيع المسلمون الآن تنفيذ هذه الآية بغير علم الرياضيات والفيزياء والكيمياء والميكانيكا وعشرات غيرها من العلوم؟ [٢]

ونقرأ قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ

---

(١) الإسلام والعلم التجريبي ص (١٠٠) وانظر للضرورة: إحياء علوم الدين للغزالي (١/١٦).

(٢) واقعنا المعاصر ص (٩٣).

﴿وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد :٢٥].

فنوقن أن الله يطلب من عباده المؤمنين أن يأخذوا بالقوة المتمثلة في الحديد -لنصرة الله ورسله- وهذا ما نتمنى من المسلمين أن يقوموا به.

الكتابة والمكتبة في الإسلام:

منذ أن نزل الوحي على رسول الله ﷺ وفي أول كلمة نزلت على محمد ﷺ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق :١] بدأ الاهتمام بالعلم والقراءة والكتابة في الإسلام، خاصة وأن الوحي لم ينزل بالقراءة فحسب وإنما بوسيلة الكتابة (القلم) في قوله تعالى: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم :١].

ولعل ما صنعه النبي ﷺ بعد غزوة بدر الكبرى من جعل شروط فداء أسرى المشركين أن يُعلِّم من يعرف منهم القراءة والكتابة عشرة من المسلمين القراءة والكتابة.

ويظهر اهتمام الرسول ﷺ بهذا الأمر أن اتخذ كُتَّابًا له يكتبون الوحي بلغ عددهم أكثر من أربعين من الصحابة [١]، مهمتهم تدوين الآيات والسور التي تنزل عليه ﷺ أولاً بأول، كما اتخذ ﷺ جملة من الكُتاب يكتبون كتبه ﷺ إلى من حوله من رؤوس القوم يدعوهم إلى الإسلام [٢]، هذا مع ما كان من تدوين السّنة التي كتبها جملة من الصحابة «**كسمرة بن جندب**»، و«**جابر بن عبد الله**» و«**عبد الله بن عمرو بن العاص**»، و«**أبو هريرة**»، و«**عبد الله بن عباس**»، و«**عروة بن الزبير**».

* * *

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/٢٣٩).

(٢) انظر لمحات في المكتبة والبحث والمصادر ص (٣١).

وقد ازدهرت حركة التدوين ازدهارًا كبيرًا يرجع الباحثون أسبابه إلى:

١- القرآن الكريم وتفسيره.

٢- الحديث النبوي وعلومه.

٣- التوسع في الفتوحات الإسلامية.

٤- اهتمام الخلفاء بحركة التدوين.

٥- الاهتمام بأنساب العرب وأخبارهم.

٦- ظهور طبقات متتالية من المؤرخين.

٧- صناعة الورق وانتشار الوراقين.

٨- التأليف والنقل من الثقافات الأخرى.

٩- ظهور المكتبات في الأمصار الإسلامية.

١٠- الحركة الشعوبية [١].

وقد عبر الدكتور «إلكسندر سنيبتشفيتش» عن ازدهار حركة الكتابة أصدق تعبير في قوله: **«إن حب العرب [٢] للكلمة المكتوبة الذي عبروا عنه بسرعة في البلدان المفتوحة لا يمكن أن يقارن إلا بحبهم للخط نفسه (الخط العربي) الذي كتب به الكتاب المقدس للمسلمين (القرآن) هذا الخط مقدس إلى حد أنه أصبح جزءًا لا يتجزأ من الهوية الدينية والقومية، لذلك لا نستغرب أن العرب والمسلمين بشكل عام قاموا بذلك النشاط العظيم في نسخ المؤلفات الشيء الذي لا نجد له مثيلًا في تاريخ**

(١) انظر الوراقة وأشهر أعلام الوراقين ص (١٧-١٨) د/ علي إبراهيم النملة، الناشر مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض سنة ١٩٩٥م.

(٢) في كتابات المستشرقين دائمًا يطلقون لفظ العرب على المسلمين ويؤثرون لحقد في نفوسهم باستخدام كلمة العرب بدلاً من المسلمين- وأنت سوف تلاحظ في النص أنه يتحدث عن المسلمين- فيما ننقله عنه.

الكتاب المخطوط» [١].

لقد كان الخلفاء العباسيون يشجعون حركة التأليف والترجمة ويذكر التاريخ ما كان من أمر هارون الرشيد من مكانة خاصة إذ إنه جمع في بلاطه مترجمين ليترجموا له مؤلفات الكُتاب اليونانيين القدماء أما ابنه المأمون فقد أسس الأكاديمية المعروفة **«بيت الحكمة»** التي ضمت مرصدًا فلكيًا ضخمًا [٢] وليست عاصمة الخلافة آنذاك بغداد هي التي حظيت بالمكتبات بل إن غيرها من المدن الإسلامية حظيت بما حظيت به عاصمة الخلافة.

يصف **«ابن سينا»** مكتبة الأسرة السمندية في **«بخاري»** وما فيها من أقسام وما تحتويه من كتب يقول: **«دخلت إلى بناء مقسم إلى عدة أقسام، وفي كل قسم كانت هناك صناديق الكتب الواحد فوق الآخر، في أحد الأقسام كانت هناك الكتب الخاصة باللغة والشعر، وفي قسم آخر كانت هناك الكتب المتعلقة بالحقوق شاهدت كتبًا قد لا يعرف أحد عنها شيئًا ورأيت كتبًا لم أرها في أي مكان آخر لا سابقًا ولا لاحقًا**[٣].

أما في القاهرة فقد أسس الخليفة **«العزيز بالله»** مكتبة شهيرة في قصره ضمت حسب بعض المصادر ٢٠٠ ألف مخطوط وحسب بعض المصادر الأخرى ٦٠٠ ألف مخطوط، وكانت هذه المكتبة تتوزع أربعين قسمًا مما كان يدفع شهود العيان للتحدث عنها باندهاش[٤].

أما في الأندلس: فقد كانت هناك مكتبة الأسرة الأموية في قرطبة بالأندلس التي أسسها الخليفة الحكم الثاني (٦٩١-٩٧٦م) وقد أرسل هذا

---

(١) تاريخ الكتاب القسم الأول (٢٣٤-٢٣٥) بتصرف، ترجمة د/ محمد الأرناؤوط، عالم المعرفة، الكويت يناير سنة ١٩٩٣م.

(٢) المرجع السابق ص (٢٣٩-٢٤٠).

(٣) نفسه ص (٢٤٢).

(٤) نفسه.

الخليفة المبعوثين إلى القاهرة ودمشق وبغداد وذلك لشراء الكتب بأثمان عالية حتى استطاع أن يجمع حوالي ٤٠٠ ألف مجلد لمكتبته وفي تلك المكتبة كان هناك «جيش» من الخطاطين والمزخرفين والمجلدين الذين كانوا يعملون لحاجات المكتبة بينما تمكن العاملون في المكتبة بوضع فهرس لها في أربع وأربعين مجلدًا [١].

ولم يقتصر النشاط العلمي واقتناء الكتب وإنشاء المكتبات على الخلفاء والأمراء والوزراء والعلماء وطلاب العلم، بل تعداهم إلى غيرهم لأن حيازة نسخة من مؤلف بخط مصنفه أو نسخة من كتاب نادر مجال كبير للتفاخر والاعتزاز وكانوا لا يفرطون فيما بين أيديهم من كتب إلا لضرورة ملحة جدًا، وإن شعر أحد مستخدمي الكتب -يُشعِرُ بذلك- اشترى الشريف المرتضى من أبي الحسن علي بن أحمد القالي كتابًا بستين دينارًا فإذا عليها للقالي هذه الأبيات:

أنست بها عشرين حولاً وبعتها ... لقد طال وجدي بعدها وحنيني
وما كان ظني أنني سأبيعها ... ولو خلدتني في السجون ديوني
ولكن لضعف وافتقار وصبية ... صغار عليهم تستهل شؤوني
وقد تخرج الحاجات يا أم مالك ... كرائم من ربٍ بهن ضغينِ[٢]

ولم يقتصر النشاط العلمي على الرجال بل شمل النساء، وكثرت المتعلمات والمتخصصات حتى إنه أُجري إحصاء في أحياء قرطبة والتي تبلغ واحدًا وعشرين حيًا أيام ازدهار الخلافة فوجد أن سبعين ومائة (١٧٠) امرأة يجدن الخط الكوفي يكتبن به المصاحف وقد كان لعائشة القرطبية (٤٠٠هـ) إحدى كاتبات المصاحف المشهورات خزانة كتب كبيرة، وقت أن كانت المرأة في أوروبا ترزح تحت نير الجهل والعبودية وتعيش في غياهب الظلم

---

(١) المرجع السابق ص (٢٤٥).
(٢) لمحات في المكتبة والبحث والمصادر ص (٤٤-٤٥).

والظلام والحرمان[١].

إن أهم ما يميز الحضارة الإسلامية هي الاهتمام الذي لا مثيل له بالكتاب والمكتبات وقد صدَّق هذه الحقيقة المستشرقون، والباحثون في الحضارة الإسلامية.

ولما للمكتبة من أهمية قصوى لدى الباحث المعاصر، فسوف نتحدث بكلمة عن المكتبة وتنظيمها في العصر الحديث، وفهرسة الكتب فيها، حتى يتسنى للباحث أن يتعامل مع المكتبات العامة التي يتردد عليها في سهولة ويسر.

* * *

(١) خزائن الكتب العربية في الخانقين (١٠١٤/٣) نقلاً عن لمحات في المكتبة والبحث والمصادر ص (٤٥).

المبحث الثاني

التصنيف

ويقصد بالتصنيف في أبسط الكلمات -وضع الأشياء المتشابهة مع بعضها- وبالنسبة للكتب ترتيب الكتب ذات الموضوع الواحد في مكان واحد على الرف بالمكتبة[١].

وهذا التصنيف اقتضته الضرورة للبحث عن الكتاب في المكتبة بأيسر طريقة، وقد عرف العرب هذا التصنيف، فيما صنفوه من كتب **«كالفهرست لابن النديم»** وغيره من الناحية النظرية، أما من الناحية العملية فقد صنفوا الكتب ببراعة.

يقول ابن سينا واصفًا إحدى المكتبات: **«دخلت إلى بناء مقسم إلى عدة أقسام، وفي كل قسم كانت هناك صناديق الكتب الواحد فوق الآخر، في أحد الأقسام كانت هناك الكتب الخاصة باللغة والشعر، وفي قسم آخر كانت هناك الكتب المتعلقة بالحقوق»** [٢].

وقد شهد العصر الحديث نُظمًا للتصنيف تصلح للكتب والمطبوعات الأخرى ويتولى أخصائيون متابعة نظم التصنيف هذه حتى تتفق مع التطورات الحديثة في المعرفة وتخليق موضوعات جديدة كالكيمياء الحيوية، والرياضيات الحيوية وغيرها، ويعتبر تصنيف ديوي[٣] العشري من أشهر نظم التصنيف الشائعة في العالم[٤].

(١) أصول البحث العلمي ومناهجه ص (١٤٠) د/ أحمد بدر، الناشر وكالة المطبوعات.
(٢) تاريخ الكتاب ص (٢٤٢) القسم الأول.
(٣) نسبة إلى مبتدعه العالم الأمريكي (ملفل ديوي) ١٨٥١-١٩٣١م.
(٤) أصول البحث العلمي ومناهجه ص (١٤١).

تصنيف ديوي العشري:

هذا النظام عالمي يقسم الكتب في مجالات رئيسية عشرة تبدأ بالأصفار وتنتهي بالتسعمائيات كل مجال من هذه المجالات يقسم بدوره إلى عشرة أقسام وكل قسم إلى عشرة فروع وهكذا.

المجالات العشر لنظام ديوي العشري:

٠٠٠ المعارف العامة.

١٠٠-١٩٩ الفلسفة.

٢٠٠-٢٩٩ الديانات.

٣٠٠-٣٩٩ العلوم الاجتماعية.

٤٠٠-٤٩٩ اللغات.

٥٠٠-٥٩٩ العلوم البحتة.

٦٠٠-٦٩٩ العلوم التطبيقية.

٧٠٠-٧٩٩ الفنون.

٧٠٠-٨٠٠ الآداب.

٩٠٠-٩٩٩ لتاريخ الجغرافيا والتراجم).

وجعل تحت كل أصل عشرة فروع، وتحت كل فرع عشرة أجزاء وخص كل جزء برقم واحد.

على سبيل المثال رمز للعلوم الاجتماعية بـ (٣٠٠-٣٩٩) وجعل تحتها عشرة فروع:

٣٠٠-٣٠٩ العلوم الاجتماعية.

٣١٠-٣١٩ الإحصاء.

٣٢٠-٣٢٩ العلوم السياسية وهكذا، فكان (٣٧٠-٣٧٩) التربية والتعليم

وتحت كل فرع عشرة أجزاء. فمثلاً:

٣٧٠ التربية والتعليم.

٣٧١ المعلمون ونظم وطرق التعليم.

٣٧٢ التعليم الأولى والابتدائي.

٣٧٣ التعليم الإعدادي والثانوي والفني وكان آخر هذه الأجزاء (٣٧٩) وقسّمَ كل جزء إلى أجزاء أخرى فاستخدم ديوي الأعداد العشرية. فمثلاً:

٣٧٠ تربية والتعليم.

٣٧٠/١ فلسفة التربية والتعليم.

٣٧٠/١٥ علم النفس التربوي[١].

وهذا التقسيم على الرغم من عالميته واستخدامه في المؤتمرات الدولية إلا أن عليه عدة ملاحظات أهمها:

(١) أنه تصنيف أمريكي خاص لا يصلح للمكتبات الإسلامية فقد قصر تقصيرًا واضحًا في استيعاب العلوم الإسلامية. فعلى سبيل المثال جعل جميع الديانات وغيرها تحت رقم (٢٠٠-٢٩٩) وخص الديانات المسيحية بمعظم أرقام هذا الأصل، وضم الإسلام إلى غيره من الديانات الأخرى فلم يجعل له رقمًا خاصًا مستقلاً به كفرع من فروع هذا الأصل مع كثرة علوم الإسلام وتعدد فروعها وأجزائها الأمر الذي حمل المهتمين بالمكتبات العربية وتصنيفها على تعديل التصنيف العشري في ترجمته العربية وصار العدد (٢١٠) وأجزاؤه للدين الإسلامي محاولين أن يستوعب هذا التعديل تصنيف المكتبة الإسلامية. فنرى مثلاً المذهب الشافعي في تصنيف رقم (٢١٧/٣)

---

(١) انظر لمحات في المكتبة والبحث والمصادر ص (٩٢-٩٣) وانظر أصول البحث العلمي ومناهجه ص (١٤٠-١٤٩).

وتحليل ذلك:

٢٠٠ ديانات

٢١٠ الدين الإسلامي.

٢١٧ المذاهب الإسلامية

٢١٧/٣ المذهب الشافعي[١].

(٢) أنه تصنيف قديم ولا يصلح اليوم وخصوصًا بعد أن انفصلت كثير من العلوم وتفرعت، ولكن هذا التصنيف انتشر في النصف الثاني من القرن العشرين واعتماده في أكثر مكتبات أمريكا وأوروبا ويعود ذلك إلى أن المؤتمر العالمي للمكتبات سنة ١٩٣٧م، تبنى هذا التصنيف، في محاولة منهم لتوحيد نظم التصنيف للمكتبات.

(٣) الواجب العلمي والديني يحتم على المتخصصين المسلمين في علوم المكتبات أن يضعوا تصنيفًا جديدًا للعلوم بدلاً من محاولات التعديل الذي لم يوضع أصلاً للعلوم الإسلامية[٢].

المجالات العشر لنظام ديوي العشري:

٠٠٠ الأعمال العامة

١٠٠ الفلسفة

٢٠٠ الديانات

٣٠٠ العلوم الاجتماعية

٤٠٠ اللغات

٥٠٠ العلوم البحتة

٦٠٠ العلوم التطبيقية

---

(١) لمحات في المكتبة والمصادر ص (٩٤).

(٢) انظر البحث العلمي ومناهجه النظرية ص (٦٤).

٧٠٠ الفنون

٨٠٠ الآداب

٩٠٠ التاريخ (الجغرافيا والتاريخ)

الأقسام الرئيسية لتصنيف «ديوي العشري»:

٠٠٠- الأعمال العامة	Generalities
٠١٠- البيلوجرافيات	Pibliographies
٠٢٠- علم المكتبات	Library Science
٠٣٠- دوائر المعرفة	Encyclopedic Works
٠٤٠-المقالات العامة	General Essays
٠٥٠-الدوريات العامة	General Periodicals
٠٦٠-الجمعيات العامة	General organizations
٠٧٠-الصحافة والصحف	Newspapers & journalism
٠٨٠-المؤلفات المجموعة	General collections
٠٩٠-المخطوطات والكتب النادرة	Manuscripts & Book rarities
١٠٠-الفلسفة	Philosophy & related
١١٠-ما بعد الطبيعة	Ontology & methodology
١٢٠-نظريات الميتافيزيقيا	Knowledge & cause purpose man
١٣٠-فروع علم النفس	Pseudo & parapsychology
١٤٠-المباحث الفلسفية	Specific philosophic view points

١٥٠-علم النفس العام	psycholgy
١٦٠-المنطق	logic
١٧٠-الأخلاق	[moral philosophy] Ethics
١٨٠-الفلسفة القديمة والوسيطة والشرقية	An cient med oriental philos
١٩٠-الفلسفة الحديثة	Modern western philsophy
٢٠٠-الدين	
٢١٠-الإسلام	
٢٢٠-المسيحية	
٢٩٠-الأديان الأخرى	
٣٠٠-العلوم الاجتماعية	The social sciences
٣١٠-الإحصاء	Statistical method & statistics
٣٢٠-السياسة	Political science
٣٣٠-الاقتصاد	Economics
٣٤٠-القانون	Law
٣٥٠-الإدارة العامة	Public administration
٣٦٠-الإنعاش الاجتماعي	Welfare & association
٣٧٠-التبية	Education
٣٨٠-التجارة	Commerce
٣٩٠-العادات، الفلكلور	Customs & folklore
٤٠٠-اللغة - علم اللغة المقارن	Language
٤١٠-اللغة العربية	Arabic language

٤٢٠-اللغة الإنجليزية	English & Anglo Saxon
٤٣٠-الألمانية	Germanic Languages
٤٤٠-الفرنسية	French provencal catalan
٤٥٠-الإيطالية	Italian Romanian etc
٤٦٠-الأسبانية	Spanish & Portuguese
٤٧٠-اللاتينية	Italic languages
٤٨٠-اليونانية	Classical & Greek
٤٩٠-اللغات الأخرى	Other languages
٥٠٠-العلوم البحتة	Pure sciences
٥١٠-الرياضيات	Mathematics
٥٢٠-الفلك	Astronomy & allied sciences
٥٣٠-الفيزياء	Physics
٥٤٠-الكيمياء	Chemistry & allied sciences
٥٥٠-علوم الأرض	Earth sciences
٥٦٠-الحفريات	Paleontology
٥٧٠-الأنثروبولوجيا والبيولوجيا	.Anthropology & Piol sciences
٥٨٠-علوم النبات	Botanical sciences
٥٩٠-علوم الحيوان	Zoological sciences
٦٠٠-التكنولوجيا	(Applied sciences) Technology
٦١٠-العلوم الطبية	Medical Sciences
٦٢٠-الهندسة	Engineering & allied operations

٦٣٠-الزراعة	Agriculture & agric industries
٦٤٠-الاقتصاد المنزلي	Domestic arts & sciences
٦٥٠-إدارة الأعمال	Business & related enter prises
٦٦٠-التكنولوجيا الكيميائية	Chemical technology etc
٦٧٠-المصنعات	Manufactures processiple
٦٨٠-مصنوعات أخرى	Assembled & final products
٦٩٠-إنشاء المباني	Buildings
٧٠٠-الفنون	The arts
٧١٠-المناظر الطبيعية	Civic & landscape art
٧٢٠-العمارة	Architecture
٧٣٠-النحت	Sculpture & the plastic arts
٧٤٠-الرسم	Drawing & decorative arts
٧٥٠-التصوير	Painting & paintings
٧٦٠-فن الطباعة	Graphic arts
٧٧٠-الفوتوغرافيا	Photography & photographs
٧٨٠-الموسيقى	Music
٧٩٠-الترفيه	recreational) Recreation (arts
٨٠٠-الأدب	Literature & rhetoric
٨١٠-الأدب العربي	American literature in English
٨٢٠-الأدب الإنكليزي والأمريكي	Engl & Anglo Saxon literature

٨٣٠-الأدب الألماني	Germanic languages literature
٨٤٠-الأدب الفرنسي	French provencal catalan lit
٨٥٠-الأدب الإيطالي	Italian Romanian literature
٨٦٠-الأدب الأسباني	Spanish & Portuguese literature
٨٧٠-الأدب اللاتيني	Italic languages literature
٨٨٠-الأدب اليوناني	Classical & Greek literature
٨٩٠-الآداب الأخرى	Lits of other language
٩٠٠-التاريخ	General geos & history etc
٩١٠-الجغرافيا، الرحلات	General geography
٩٢٠-التراجم	General piog general etc
٩٣٠-التاريخ القديم	Gen hist of ancient world
٩٤٠-أوروبا	Gen hist of modern Europe
٩٥٠-آسيا	Gen hist of modern Asia
٩٦٠-إفريقيا	Gen hist of modern Africa
٩٧٠-أمريكا الشمالية	Gen hist of North America
٩٨٠-أمريكا الجنوبية	Gen hist of South America
٩٩٠-الأقطار الأخرى	Gen hist of rest of world

مثال للتفريعات الأساسية للدين الإسلامي:

٢١٠ إسلام

٢١١ قرآن وعلومه

٢١٢ تفسير

٢١٣ حديث

٢١٦ الفقه الإسلامي وأصوله

٢١٦,١ أصول الفقه

٢١٦,٢ العبادات

٢١٦,٣ المعاملات

٢١٧ فقه المذاهب الإسلامية

٢١٨ الشعائر والتقاليد والأخلاق الإسلامية

٢١٩ السيرة النبوية

ونحن نلاحظ من التفريعات السابقة أن ما يزيد على ثلاثة أرقام إلى اليمين يكتب بعد فاصلة (في اللغة العربية) وبعد نقطة (في اللغة الإنجليزية).. وعلى الطالب الباحث إذا أراد أن يرجع إلى تفاصيل التصنيف الخاصة بمجاله الدراسي أن يرجع إلى الجداول التفصيلية وإلى الكشاف في تصنيف ديوي العشري الموجود بالمكتبة للتعرف على أرقام التصنيف التي تغطي موضوعات دراسته.

هذه القائمة مأخوذة بنصها من كتاب أصول البحث العلمي ومناهجه للدكتور أحمد بدر وهو من أوفى الكتب في مناهج البحث[١].

فهارس المكتبة:

الفهرس البطاقي للمكتبة هو الكشاف الرئيسي والمفتاح الأساسي للمجموعات والمقتنيات الموجودة بالمكتبة، والفهرس القاموسي بالمكتبة يحتوي على ثلاث بطاقات -على الأقل- لكل كتاب.

البطاقة الأولى: بطاقة أصلية باسم المؤلف.

---

(١) أصول البحث العلمي ص (١٤٢-١٤٩).

البطاقة الثانية: بالعنوان.

البطاقة الثالثة: بموضوع الكتاب. ويرتب هذا الفهرس ترتيبًا هجائيًا بالمؤلف والعنوان والموضوع.

والكتاب الذي له أكثر من مؤلف واحد يكون له أكثر من بطاقة لذكر هؤلاء المؤلفين بالفهرس وكل مؤلف في ترتيبه الهجائي، ويجب أن نشير إلى أن المؤلف قد يكون شخصًا أو هيئة. والكتاب الذي له أكثر من موضوع واحد يكون له أكثر من بطاقة واحدة لتغطية هذه الموضوعات مع العلم بأن رؤوس الموضوعات تكتب عادة باللون الأحمر لتمييزها عن بطاقات المؤلفين والعناوين[1].

ولفهارس البطاقات مميزات عديدة منها:

(١) سهولة الاستعمال. فيمكن أن تضاف بطاقات جديدة إلى صندوق البطاقات فتوضع في أماكنها كما يمكن أن ترفع بطاقات الكتب غير الصالحة أو الموجودة في التجليد من صندوق البطاقات ويتم ذلك كله بسهولة ويسر نتيجة نظم البطاقات في القضيب المعدني المثبت في أسفل الصندوق.

(٢) فهرس البطاقات يحقق إطلاع القراء على ما يصدر من كتب حديثة منذ وصولها إلى المكتبة، ففي الوقت الذي يضم فيه كتاب إلى خزانة المكتبة تضم بطاقته إلى صندوق الفهارس ولا يبقى فترة طويلة ريثما تتم فهرسة مجموعة كبيرة من الكتب كما هو الشأن في سجلات الفهارس المطبوعة[2].

وسوف نتحدث عن كل بطاقة بكلمة:

أولاً: بطاقة المؤلف: وفيها يذكر اسم المؤلف في أعلى البطاقة، ويدون في الزاوية العليا من الجهة اليمنى رقم الكتاب، وحرفه في المكتبة. ويذكر

(١) أصول البحث العلمي ومناهجه ص (١٥٣).

(٢) لمحات في المكتبة والبحث والمصادر ص (٨٥).

تحت رقم الكتاب وحرفه الحرف الأول من اسم المؤلف، ويدون عنوان الكتاب تحت اسم المؤلف، ويدون مكان الطبع والنشر وتاريخه تحت عنوان الكتاب، وبعد ذلك تدوين صفحات الكتاب ويكتفي بذكر حرف (ص) إلى جانب عدد الصفحات، وحرف (ج) يدل على كلمة جزء أو أجزاء كأن يدون (٣٥٠ص) و (٣ج) ويضاف سطر في أسفل البطاقة يذكر فيها كون الكتاب محققًا أو مترجمًا وسطر آخر للملاحظات[١].

وفائدة فهرس المؤلف أنه يجمع كل كتب هذا المؤلف في مكان واحد وفائدته كبيرة للباحثين الذين تدور أبحاثهم حول أشخاص[٢].

ثانيًا: فهرس العنوان: أي عنوان الكتاب وهو كبطاقة المؤلف إلا أن اسم الكتاب يكون في أعلى الصفحة وتحته اسم المؤلف وجميع البيانات التي ذكرت في بطاقة المؤلف قبل ذلك، وترتب فيه البطاقات هجائيًا حسب عنوان الكتاب.

ثالثًا: فهرس الموضوعات: يذكر فى البطاقة موضوع الكتاب أو العلم الذي يندرج الكتاب تحته في أعلى الصفحة ويذكر تحته اسم المؤلف ، وجميع البيانات السابقة ، وفائدة هذا الفهرس أن يجد الباحث جميع ما يبحث عنه في مكان واحد ، فمثلاً مناهج البحث يجد الباحث عند المناهج كل الموجود في المكتبة التى يبحث فيها ، عن علم المناهج .

وهناك الفهارس المطبوعة وفيها سجل كامل عن الكتب الموجودة في المكتبة مرتبة إما على حسب العنوان أو الموضوع .

كلمة لابد منها :

يجب على الباحث أن يكثر من التردد على المكتبة وأن يستمع لشرح أمناء

---

(١) المرجع السابق ص (٨٦-٨٧).

(٢) البحث العلمي ومناهجه النظرية ص (٦٥).

المكتبات خاصة المتخصصين منهم نظرًا لدراستهم العلمية وتجربتهم العملية في مجال التصنيف والفهرسة ويجب عليه أن يتعامل معه كأخصائي في تخصصه من الناحية الفنية المكتبية بصرف النظر عن معرفته ما بداخل الكتاب.

* * *

المبحث الثالث

البحث العلمي وخصائصه

البحث في اللغة والاصطلاح:

أ- **في اللغة:** ورد في لسان العرب: البحث أن تسأل عن شئ وتستخبر، وبحث عن الخبر وبحثه يبحثه بحثًا سأل وكذلك استبحثه واستبحث عنه. الأزهري. استبحثت وابتحثت وتبحثت عن الشيء بمعنى واحد أي فتشت عنه[١].

وورد في الرائد: البحث جمعه أبحاث وبحوث، مصدر طلب الحقائق والمعلومات العلمية والأدبية ويطلق على مقالة أو رسالة في موضوع علمي أو أدبي، والبحَّات: الكثير البحث، والبَحَّاثة: الدارس المجتهد المنصرف إلى البحث العلمي أو الأدبي[٢].

وقد وردت كلمة البحث في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ [المائدة :٣١] أي حفر ونقب بمنقاره ورجليه ليُعَلم الغرابُ ابنَ آدم كيف يواري سوأة أخيه[٣].

والمعنى اللغوي لا يختلف كثيرًا بين معجم ومعجم لغوي آخر، فكل معاني البحث اللغوية تدور حول التقصي والسؤال والتفتيش كما عند «ابن منظور» ونفس المعاني نجدها عند «جبران مسعود» في الرائد والملاحظة التي نسجلها

---

(١) لسان العرب (٢١٤/١) طبعة دار المعارف.

(٢) الرائد (٣٠٧/١) جبران مسعود.

(٣) الكشاف للزمخشري (٦٠٨/١).

بين المعاجم القديمة والحديثة، هو التوسع عند المُحدثين في مدلول البحث إذ إنه يطلق على المقالة أو الرسالة في أحد الموضوعات العلمية أو الأدبية.

معنى البحث في الاصطلاح:

(١) البحث: استقصاء دقيق يهدف إلى كشف حقائق وقواعد عامة يمكن التحقق منها مستقبلاً.

(٢) هو «وسيلة للدراسة يمكن بواسطتها الوصول إلى حل لمشكلة محددة وذلك عن طريق التقصي الشامل والدقيق لجميع الشواهد والأدلة التي يمكن التحقق منها، والتي تتصل بهذه المشكلة المحددة»[١].

(٣) ويعرفه البعض بأنه «العمل الذي يتم إنجازه لحل أو محاولة حل مشكلة قائمة ذات حقيقة مادية»[٢].

(٤) أو هو «الفحص والتقصي المنظم لمادة أي موضوع من أجل إضافة المعلومات الناتجة إلى المعرفة الإنسانية أو المعرفة الشخصية»[٣].

ونلاحظ على هذه التعريفات أن بعض هذه التعريفات تخص جانبًا واحدًا من المعرفة، فعلى سبيل المثال التعريف الذي يُعرف البحث بأنه حل أو محاولة حل مشكلة ذات حقيقة مادية، فهذا التعريف ينصرف إلى البحوث التطبيقية -التجريبية- وبعض التعريفات ركز على البحث في حل مشاكل المستقبل لا الحاضر. واختلاف التعريفات الاصطلاحية للبحث يرجع إلى تعدد ميادينه، فكل ينظر إلى البحث من منظوره الخاص.

ونلاحظ أن تعريفات البحث الاصطلاحي لم تشر إلى البحوث الدينية، ولابد من إلقاء النظرة على البحوث الدينية نظرًا لأهمية هذه البحوث من

---

(١) أصول البحث العلمي ومناهجه ص (١٩).

(٢) لمحات في البحث والمصادر ص (١٠٠).

(٣) نفسه.

ناحية ومن ناحية أخرى لأن هناك الكثير من الجامعات والمعاهد العلمية المتخصصة تقوم على تلك البحوث الدينية.

ونستطيع أن نعرف البحث في العلوم الإسلامية بأنه **«كل بحث منهجي يكشف عن جانب من جوانب الحياة من الناحية العقدية أو التشريعية أو الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية من خلال تعاليم الإسلام يستند إلى التقصي الشامل الدقيق القائم على الدليل والبرهان»**.

والبحوث العلمية على اختلاف مجالاتها لا تخرج عن:

١- اختراع معدوم.

٢- جمع متفرق.

٣- تكميل ناقص.

٤- تفصيل مجمل.

٥- تهذيب مطول.

٦- ترتيب مخلط.

٧- تعيين مبهم.

٨- تبيين خطأ [١].

هذه القواعد العامة والأصول المشتركة بين كافة البحوث وقد يزاد على هذه الأمور أمور أخرى ولكن عند التدقيق ترد إلى إحدى الغايات التي ذُكرت آنفًا.

أهمية البحث العلمي وفوائده:

للبحث العلمي فوائد كثيرة أهمها:

(١) إن البحث العلمي يُعد وسيلة الإبداع والابتكار. فالمخترعات التي

---

(١) لمحات في المكتبة والبحث والمصادر ص (٩٩).

يسعد بها الإنسان في القرن الحادي والعشرين، والتي تقرب له البعيد وتحمل عنه الكثير من الأثقال، وتجعل العالم بين يديه يعرف عنه كل شيء هذا كله من آثار البحث العلمي.

(٢) إن المعرفة بأسلوب البحث العلمي ترفع من القدرة على حل المشكلات، فسواء كنا أساتذة في إعداد المعلمين أو في المهن التجارية، والهندسية والطبية والاجتماعية، فإن أساليب البحث العلمي ستمكننا من تناول مشكلاتنا بطريقة علمية مما يسهل علينا مواجهتها وحلها[١].

(٣) تكمن أهمية البحث العلمي في أنه لا يعيش في الجامعات أو في المؤسسات العلمية فحسب، بل هو قاعدة أصيلة لكافة الناس في جميع المؤسسات الاقتصادية والثقافية والسياسية بل إنه الأساس في تقدم التاجر وازدهار المزارع، وتحصيل الطالب وتخطيط العلم.

إنه ليس ترفًا يمارس لقضاء الوقت وشغل الفراغ إنه البحث عن الحقائق والتفسيرات والحلول التي تساعد كل إنسان على تطور حياته وأساليبه[٢].

(٤) إن البحث العلمي ما دام هو الوسيلة المثلى للابتكار والاختراع فلا خيار أمام المسلمين الآن إلا الاهتمام بالبحث وأدواته ووسائله والقائمين عليه، لكي يسدوا الفجوة الكبيرة بينهم وبين غيرهم من الأمم خاصة الغربية، لكي يحققوا الكفاية الذاتية لأمتهم وملتهم وإن نظرة واحدة على الإحصائيات ترينا الهوة السحيقة بين الواردات والصادرات لصالح غير المسلمين، وهذه الواردات من ضروريات الحياة كالغذاء والدواء والكساء، وما وصل الغرب إلى ما وصل إلا عن طريق البحث العلمي الذي كان للمسلمين الأوائل الفضل الأكبر في وضع قواعده، لأنهم سمعوا آيات القرآن تتلى عليهم من نحو قوله:

---

(١) البحث العلمي مفهومه وأدواته ص (١٧) د/ ذوقان عبيدات وآخرون، دار الفكر، عمان.

(٢) البحث العلمي وأهدافه ص (١٦).

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق :١] وقوله: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم :١] وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾ [الروم :٢٢] فانطلقوا يبحثون وينقبون، ويقدمون لأمتهم وللعالم كله روائع علمية وحضارية وقف الغرب آنذاك مبهورًا مما حققه المسلمون في تلك المجالات.

خصائص البحث العلمي:

من أهم خصائص البحث العلمي، كما رصدها الباحثون:

١- **الموضوعية:** ويقصد بها حصر الدراسة وبذل الجهد في صلب الموضوع المراد بحثه بعيدًا عن الاستطراد والخروج عن موضوع البحث إلى نقاط جانبية هامشية بالإضافة إلى تجرد الأفكار والأحكام عن الهوى، لأن الهدف الرئيسي من البحث العلمي هو التوصل إلى الحقائق العلمية مؤيدة بالأدلة والبراهين.

٢- **المنهجية:** وهي طريقة تنظيم المعلومات، بحيث يكون عرضها عرضًا منطقيًا سليمًا متدرجًا للقارئ من السهل إلى الصعب، ومن المعلوم إلى المجهول ومنتقلاً من المسلَّمات إلى الخلافيات متوخيًا في كل ذلك انسجام الأفكار وترابطها وبناءً على ذلك فإن البحث العلمي يقوّم بمقدار جدواه العلمية والاجتماعية وبمقدار ظهور شخصية الباحث في أصالة أفكاره المبنية على أساس من تفهم المادة العلمية، ومنهجيته في عرضها ومناقشتها بأسلوب علمي متجرد والتزام الجوانب الفنية للبحث، ذلك لأن الدراسة ليست تجميع بيانات أو معلومات، ولكن تفسير الباحث لهذه الحقائق وبيان معانيها ووضعها في إطار منطقي مفيد هو الذي يميز البحث العلمي عن غيره والدراسة الجادة عما سواها من الصفحات المكتوبة والأفكار المنقولة.

٣- **الشمولية والتعميم:** من مميزات البحث العلمي الشمولية والتعميم لأن الباحث لا يدرس مشكلة محددة كهدف بل ينطلق من دراسة

المشكلة المحددة أو الموقف الفردي ليصل إلى نتائج وتعميملت تشمل الظواهر المشتركة أو المواقف المشتركة مع موضوع دراسته، لأن هدف البحث العلمي هو الوصول إلى تعميمات ونتائج تتسم بالشمول وتنطبق على أكثر من فرد وأكثر من ظاهرة وأكثر من موقف.

ويلاحظ أن التعميم في البحث العلمي:

(أ) ليس تعميمًا متعجلاً سريعًا، بل يعتمد على التأني والروية وعدم التسرع في الانتقال من عدد محدود وقليل من الملاحظات إلى الأحكام العامة.

(ب) أن التعميم في البحث العلمي يعتمد على فرضين هما: تماثل الجزئيات، وتشابه الظروف فلن يكون التعميم القائل «**بأن كل حديد يتمدد بالحرارة**» صادقًا بالنسبة لجميع جزئيات الحديد إلا إذا افترضنا ضمنًا أن جميع هذه الجزئيات إنما تمثل نوعًا واحدًا أي تتشابه وتتماثل في صفاتها وخصائصها. وتكون عبارة «**من أولى مدارج الخطأ التعميم في الحكم**» أي التعميم الصادر عن غير علم وبرهان كمن نزل مدينة فسرقت منه نقوده، فعمم الحكم على أهل المدينة كلهم بأنهم لصوص، فذلك تعميم لم يقم على دليل وبرهان وإنما هو وليد الانفعال والذاتية(١).

٤- الدقة والتجريد، والمرونة:

يتسم البحث العلمي بالدقة والتجريد لأن الباحث يسعى إلى تحديد مشكلته بدقة وتحديد إجراءاته بروية، وينبغي أن يستخدم الكلام الدقيق المحدد، بعيدًا عن القطع والجزم والتأكيد وإنما يستخدم بعض العبارات في البحوث النظرية مثل: غالبًا، ومعظم، وربما، ويبدو أن، أما في البحوث العلمية التجريبية فإن دقة الباحث تتحقق في استخدام لغة الرياضيات التي تقوم على

---

(١) انظر مناهج البحث والتفكير العلمي ص (١٣-١٤) د/ محمد عبد الله الشرقاوي، نشر دار الثقافة العربية.

أساس القياس المنظم الدقيق، والتحدث بلغة الأرقام والرموز والعلاقات الرياضية المحددة[١].

٥- التراكمية:

والمقصود بها أن المعرفة بناء يسهم فيه كل الباحثين والعلماء، وينطلق الباحثون مما توصل إليه من سبقوه من الباحثين، فيصحح الأخطاء، ويكمل الخطوات، وقد لغى معرفة سابقة ويبطل نظرية عاشت فترة من الزمن، والمعرفة العلمية من هذا الجانب تختلف عن المعرفة الفلسفية لأن العلماء يبنون نظرياتهم بناءً عموديًا، فينطلق العالم مما انتهى إليه غيره، أما الفيلسوف فيبدأ دائمًا من نقطة البداية بصرف النظر عما توصل إليه غيره.

وكذلك فإن النظريات العلمية نسبية، لأنها تتطور باستمرار ولا تقف عند حد معين بل تتبدل وتتغير في أثناء تطورها ومع كونها نسبية فهي تفرض نفسها على كل الناس، وهي لا ترتبط بباحث معين أو عالم معين كالمعرفة الفلسفية التي ترتبط بصاحبها الفيلسوف[٢].

٦- الوصف والتفسير:

يهدف البحث العلمي إلى وصف أو تفسير ما هو موجود أو الظواهر التي تنتج عما هو موجود وإن لم يكن هو نفسه موضوعًا للخبرة أو التجربة المباشرة، فظاهرة تمدد الحديد مما يمكن أن يقع في الخبرة العلمية المباشرة، لكن دراسة الطاقة تتم من خلال الصور التي تتبدى عليها كالطاقة الحركية أو الحرارية الضوئية.

وكذلك الكشف عن الأسباب في العلم يكون مقصورًا على الأسباب القريبة أو المباشرة والتي يمكن التحقق من وجود العلاقة بينها وبين نتائجها عن طريق التجربة العلمية، فإرجاع ظاهرة تمدد المعدن إلى ازدياد درجة

---

(١) التفكير العلمي ص (٢٠) وما بعدها. د/ فؤاد زكريا، وانظر البحث العلمي وأهدافه ص (٥٧).
(٢) البحث العلمي وأهدافه ص (٥٣-٥٤).

حرارته هي من الأمور التي يمكن التحقق منها علميًا وعمليًا، أما رد سبب نجاح الطالب في الامتحان إلى أنه كتب في امتحانه بقلم معين **«دون رده إلى الجهد الذي بذله في الاستذكار»** أو رد فشل الطالب إلى أنه صادف شخصًا معينًا أو رأى قطة سوداء مثلاً يوم الامتحان، فهذا لا يكون من التفكير العلمي في شيء لأنه قائم على الربط سببيًا بين أشياء لا توجد بينها علاقة أصلاً مثل النجاح في الامتحان والكتابة بقلم دون غيره[1].

٧- التحليل والتركيب:

أ- التحليل: يقصد به عزل عناصر الشيء الواحد بعضها عن بعض حتى يمكن إدراكه بوضوح، والتحليل قد يكون عقليًا وقد يكون تجريبيًا ويرجع ذلك إلىَ طبيعة الظواهر التي تكون موضوعًا للتحليل فإذا لم تكن الظواهر مادية، كان التحليل عقليًا يتم في الذهن لا في الواقع، وذلك كتحليل فكرة الزمن إلى ماضٍ وحاضر ومستقبل، وفكرة الوجود إلى واجب وممكن وكتحليل الأحداث التاريخية والظواهر الاجتماعية، أما التحليل التجريبي، فهو عملية مادية تستخدم في عزل العناصر الأولية الحقيقية التي تدخل في تركيب إحدى الظواهر كما هو الشأن في العلوم الطبيعية والباحث هنا ينتقل أيضًا من المجهول إلى المعلوم، فقد كان الإنسان يجهل طبيعة الماء قبل تحليله إلى عنصريه الأكسجين والأيدروجين وكان يعتقد أنه عنصر بسيط.

ب- التركيب: عملية يستعين بها الباحث على التأكد من صحة النتائج التي انتهى إليها التحليل. وينقسم التحليل إلى:

التركيب العقلي: وهو الذي ينتقل فيه التفكير من بعض القضايا الأولية المُسَلم بها إلى قضايا أخرى أشد منها تركيبًا، وتكون تلك القضايا بمثابة

---

(١) مناهج البحث والتفكير العلمي ص (١٦).

المبادئ التي تنبسط منها النتائج، وهذا التركيب يستخدم في العلوم الرياضية والطبيعية.

التركيب التجريبي: وهو عملية مادية تستخدم في التأليف بين العناصر التي توجد منفصلة بعضها عن بعض أو التي سبق فصلها بالتحليل.

ويمكن في عبارة موجزة القول بأن التحليل طريقة الكشف، إنها طريقة تقوم على عزل عناصر الظاهرة بعضها عن البعض الآخر، حتى يتسنى دراسة كل عنصر على حدة وبيان ما بين هذه العناصر من علاقات.

أما التركيب فهو طريقة العرض لأنه يستخدم في عرض النتائج التي تيسر الحصول عليها عن طريق التحليل، إنه يؤلف بين العناصر الجزئية ليصل من هذا إلى تقديم النتائج في صورة متكاملة وأكثر وضوحًا وإقناعًا.

وينبغي أن نقرر أن التحليل والتركيب عنصران أساسيان في كل العلوم بل هما لب الفكر الإنساني سواء أكان علميًا أم غير علمي[١].

* * *

(١) انظر: منهج البحث في العلوم الإسلامية ص (١٠٦-١١١) د/ محمد الدسوقي، دار الأوزاعي بيروت، وانظر مناهج البحث والتفكير العلمي ص (١٧-١٩).

المبحث الرابع

أهم مناهج البحث العلمي

معنى المنهج في اللغة والاصطلاح:

ورد في لسان العرب «طريق نهجٌ»: بيِّن واضح، ومنهج الطريق وضحه والمنهاج كالمنهج وفي التنزيل: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة :٤٨] والمنهاج: الطريق الواضح والنهج الطريق المستقيم(١).

وفي الاصطلاح: يعرف المنهج العلمي بأنه «خطة منظمة لعدة عمليات ذهنية أو حسية بُغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها»(٢).

ويلاحظ من خلال هذا التعريف أن هناك اتجاهين للمناهج من حيث الهدف:

أحدهما: يكشف عن الحقيقة ويسمى منهج الاختراع.

الثاني: يبرهن أو يعدل عن مفاهيم سائدة ويسمى منهج التصنيف(٣).

وسوف نتكلم عن أهم المناهج السائدة في البحث العلمي، وهي:

١- المنهج الاستقرائي.

٢- المنهج الاستنباطي.

٣- المنهج التاريخي.

---

(١) لسان العرب (٦/٤٥٥٤-٤٥٥٥) طبعة دار المعارف، وانظر مختار الصحاح مادة (نهج).

(٢) المعجم الفلسفي ص (١٩٥) الصادر عن مجمع اللغة العربية، وانظر ص (١٩٦).

(٣) مناهج البحث العلمي النظرية ص (٨).

٤- منهج البحث في العلوم الدينية.

أولاً: المنهج الاستقرائي:

مفهومه: الحكم على الكلي بما يوجد في جزئياته جميعها وهو الاستقراء الصوري الذي ذهب إليه «أرسطو» وحده وسماه «الإيباجوجيا» أو الحكم على الكلي بما يوجد في بعض أجزائه وهو الاستقراء القائم على التعميم، وعلى الأخير اعتمد المنهج التجريبي فهو ينتقل من الواقعة إلى القانون، ومما عرف في زمان أو مكان معين إلى ما هو صادق دائمًا وفي كل مكان[١].

فالاستقراء يدرس بعض الجزئيات والظواهر بغية الكشف عن العلل والعلاقات التي تجمع بينها لنصل بهذا إلى معرفة القوانين العامة أو القضايا الكلية وبذلك تكون وظيفة الاستقراء هي تيسير الحصول على المعرفة العلمية لأن إدراك العلل والأسباب للظواهر ومعرفة القوانين التي تخضع لها يعني إمكانية التنبؤ بعودتها متى تحققت الشروط التي أدت إلى وجودها من قبل[٢].

مراحل الاستقراء:

عندما يتعرض العالم لبحث ظاهرة ما بحثًا علميًا فإنه يتبع خطوات معينة توصله إلى وضع القوانين العامة التي تفسر هذه الظاهرة وهذه الخطوات هي ما تسمى بمراخل الاستقراء أو البحث العلمي[٣].

١- مرحلة البحث من خلال الملاحظة والتجربة.

٢- مرحلة الكشف من خلال فرض الفروض.

٣- مرحلة البرهان من خلال التحقق بالطرق التجريبية لبيان صحة

(١) المعجم الفلسفي ص (١٢) مجمع اللغة العربية ١٩٨٣م.
(٢) منهج البحث في العلوم الإسلامية ص (٨٢).
(٣) مناهج البحث والتفكير العلمي ص (٤١).

وصدق الفروض[١].

أولاً: الملاحظة التي يجريها العالم ليست ملاحظة عابرة كملاحظة الرجل العادي ولكن لها شروط تتمثل في الآتي:

أ- أنها تستهدف التحليل والتفسير والتعرف على العلاقات الخفية التي توجد بين عناصرها.

ب- أن تكون الملاحظة مجردة عن كل تقدير شخصي أو ميل أو هوى أو تقويم.

ج- أن تعتمد الملاحظة على دقة المشاهدة الأمر الذي يتطلب استخدام الآلات العلمية التي تتفق وطبيعة الظاهرة موضوع الملاحظة، ففي الفلك نحتاج إلى المنظار الذي يقرب البعيد حتى يمكن رصد النجوم، وكعلوم الكيمياء والطبيعة فهذه العلوم تحتاج إلى الملاحظة الكمية، أما علوم الحيوان والنبات فهي تعتمد بصفة خاصة على الملاحظة الكيفية.

د- التجربة ويقصد بها ما يقوم به الباحث إما للتحقق من صحة الفروض التي قام بافتراضها نتيجة لملاحظاته العلمية أو ما يلزم عن تلك الفروض من نتائج، وإما بغرض تحقيق نوع من المشاهدة الدقيقة حين تتعذر عليه الملاحظة العلمية المباشرة، وينبغي أن نعلم أن الملاحظة والتجربة تعدان مرحلتين متداخلتين فالباحث يبدأ بالملاحظة ثم يجرب ثم يلاحظ نتائج التجربة.

يقول «كلود برنار»: «إن المجرب يوجه أسئلة إلى الطبيعة ولكن بمجرد أن تتكلم الطبيعة يجب أن يلتزم الصمت وأن يلاحظ ما تجيب عليه وألا يأخذ من التجربة سوى النتائج التي تثبت صدق فرضه وأن يكون مستعدًا لتعديل فكرته تبعًا لما ترشده إليه

(١) المنطق الحديث وفلسفة العلوم والمناهج ص (١١٣).

ملاحظة الظاهرة»[١].

ثانيا: فرض الفروض:

يعتبر من أهم خطوات التفكير العلمي إذ إنه يعتبر حلقة متوسطة بين كل من الملاحظة والتجربة وبين القوانين العلمية، فكل ملاحظة أو تجربة لن تكون لها قيمة إلا إذا انتهت إلى فروض علمية يمكن التحقق منها بالتجربة، فالباحث مهما لاحظ ومهما كانت الحقائق والمشاهدات التي يجمعها بواسطة الملاحظة والتجربة لن تكون لهذه الحقائق أية قيمة إلا إذا تدخل الباحث وافترض وجود علاقات معينة تربط بين بعض هذه الحقائق[٢].

ويكاد يجمع علماء المناهج وفلاسفتها بأن القوانين والنظريات العلمية لا توجد في الحقيقة إلا إذا كشف عنها الخيال الابتكاري وهو السبيل الوحيد للفرض العلمي[٣].

شروط الفرض العلمي:

١- الدقة وعدم الغموض أو التناقض.

٢- أن لا يتعارض الفرض من أي قانون علمي.

٣- الفرض العلمي يستطيع الباحث من خلاله أن يفسر الوقائع أو الظواهر الطبيعية.

٤- أن يقدم الفرض العلمي استنباطات أو استدلالات لتفسير وقائع جزئية.

٥- أن الفرض العلمي نقطة البدء في كل استدلال تجريبي وتقديم تفسير لوقائع في إطار نسق متكامل[٤].

---

(١) انظر مناهج البحث والتفكير العلمي ص (٤٢-٤٤)، والمنطق الحديث وفلسفة العلوم والمناهج ص (١١٥-١١٦).

(٢) مناهج البحث والتفكير العلمي ص (٤٥).

(٣) المنطق الحديث وفلسفة العلوم والمناهج ص (١١٦).

(٤) المصدر السابق ص (١١٨).

ثالثًا: مرحلة تحقيق الفروض (العلية):

وتعتمد في الاستقراء التقليدي على ما يسمى بالطرق الاستقرائية التي حددها «بيكون» والذي أرسى فيها قواعد أو منطق التفكير العلمي الاستقرائي في مقابل منطق أو قواعد «أرسطو» القديمة كما طورها «جون استيوارت مل» بعد ذلك في القرن التاسع عشر(١) وتتلخص طريقة «مل» في التحقق من صدق الفروض في الآتي:

١- طريقة الاتفاق:

يقول «مل»: **«إذا اتفقت حالتان أو أكثر للظاهرة التي نبحثها في أمر واحد فقط كان ذلك الأمر الواحد الذي تشترك فيه كل الحالات علة أو معلولاً للظاهرة التي نحن بصددها»**(٢) ، فإذا كانت هناك ظاهرة ما تحدث في حالات شتى وهذه الحالات تتحد جميعها في عنصر واحد مشترك فإن هذا العنصر يُعد العلة في إحداث تلك الظاهرة.

٢- طريقة الاختلاف:

وهي على العكس من طريقة الاتفاق بمعنى إذا كان وجود العلة يؤدي إلى وجود المعلول فإن انتفاءها يؤدي إلى انتفائه، وقد عبر «مل» عن هذه الطريقة بقوله: **«إذا وجدنا حالتين: حالة تقع فيها الظاهرة، وحالة لا تقع فيها يشتركان في كل شيء وما عدا شيئًا واحدًا يظهر في الحالة الأولى، ولا يظهر في الحالة الثانية استنتجنا أن هذا الشيء هو العلة أو المعلول أو جزء ضروري من علة أو معلول الظاهرة»**(٣).

* * *

(١) مناهج البحث والتفكير العلمي ص (٤٥).
(٢) نقلاً عن مناهج البحث عند مفكري الإسلام ص (٩٥) د/ علي سامي النشار.
(٣) المصدر السابق.

٣- طريقة الجمع بين الاتفاق والاختلاف:

يقول عنها «مل»: «**إذا كانت الحالتان أو الحالات العديدة التي توجد فيها الظاهرة التي ندرسها تشترك في ظرف واحد في حين أن الحالتين أو الحالات العديدة التي لا توجد فيها هذه الظاهرة لا تشترك إلا في عدم وجوده فإن هذا الظرف الوحيد الذي تختلف فيه المجموعتان من الحالات إحداهما عن الأخرى هو نتيجة الظاهرة أو سببها أو جزء ضروري من هذا السبب**»[١].

٤- الطريقة القياسية:

إذا لم يستطع الباحث أن يستعين بالطرق الاستقرائية للتثبت من الفرض فإنه يلجأ إلى استخدام الطريقة القياسية وهي تقوم على افتراض علاقة عِلِّيَّة بين شيئين أو مجموعة أشياء، ثم يستنبط من هذا الفرض إحدى نتائجه التي يمكن التأكد من صدقها بطريقة الاتفاق أو الاختلاف أو التغيير النسبي فإذا وجد أن هذه النتيجة تتفق مع الواقع جزم بصحة الفرض وإلا التمس فرضًا آخر وهكذا إلى أن يصل إلى الفرض الصحيح ويتثبت منه فيصبح قانونًا أو مبدأ عامًا[٢].

المسلمون والمنهج العلمي:

أكدت الدراسات العلمية المعاصرة أن أصول المنهج العلمي الحديث أصول إسلامية عربية وليست أصولاً يونانية لقد أخذت أوروبا كل أنواع العلوم والمعارف التجريبية منها وغير التجريبية وأن أوروبا كما يقول «**روجر بيكون**»: «**دُعيت فجأة إلى الحياة بعد أن ظلت غارقة في ظلمات الجهل طوال خمسة قرون وهي مدينة بكل مقوماتها إلى العالم الإسلامي وأن الفكر الأوروبي كان من المستحيل أن**

(١) المنطق الحديث ومناهج البحث ص (٢١١) هامش نقلاً عن منهج البحث في العلوم الإسلامية ص (٩٤).

(٢) انظر المنطق الحديث ومناهج البحث ص (٢٣٠).

يكون له شأن يذكر لولا وجود المعارف العربية»[١].

وإذا كانت نشأة مناهج البحث العلمي لدي جمهرة مؤرخيها تُعزى إلى القرن السابع عشر، وإذا كان المنهج التجريبي قد أخذ بزمام الموقف في الدراسة العلمية بأوروبا منذ هذا القرن وإذا كان «**فرنسيس بيكون**» يعده أكثر مؤرخي المناهج من الغربيين أول من صاغ قواعد المنهج التجريبي بكل وضوح وإذا كان «**ديكارت**» بكتابه «**مقال في المنهج**» قد وضع قواعد دقيقة للمنهج العلمي تؤدي إلى حسن السير بالعقل والبحث عن الحقيقة في العلوم، فإن هذين العالمين، اقتفى آثار المسلمين في المنهج العلمي «**ففرنسيس بيكون**» اقتفى منهج «**ابن الهيثم**»[٢] في الاستقراء والملاحظة والتجريب .. يقول « **ابن الهيثم** » عن منهجه نبتدئ في البحث باستقراء الموجودات وتصفح أحوال المبصرات وتمييز خواص الجزئيات ذلك المنهج يتلخص في البدء بالملاحظة أو التجربة ثم الفرض ثم الاستعانة بالقياس في التحقق من صدق الفرض للوصول إلى القانون أو النظرية[٣].

وديكارت تأثر بـ «**ابن سينا**» والغزالي في كتابه «**تهافت الفلاسفة**» وموقفهما «**أي ديكارت وبيكون**» من منطق «**أرسطو**» هو نفس الموقف الذي كان من الأصوليين والمتكلمين المسلمين[٤].

وأخيرًا نختم بما قاله «**جورج سارتون**» الذي قرر أن أعظم النتائج العلمية لمدة أربعة قرون إنما كانت عن العبقرية الإسلامية كما بيّن أيضًا أن معظم الأبحاث العلمية الممتازة خلال هذه القرون الأربعة إنما تمت في لغة العلم

---

(١) العرب والحضارة الأوروبية للعقاد.

(٢) منهج البحوث في العلوم الإسلامية ص (٣٥).

(٣) مناهج البحث العلمي ص (٦١) د/ عبد اللطيف العبد.

(٤) منهج البحوث في العلوم الإسلامية ص (٣٥-٣٦).

الكبرى حينئذ وهي اللغة العربية[١].

المنهج الاستنباطي:

هو انتقال الذهن من قضية أو عدة قضايا هي المقدمات إلى قضية أخرى هي النتيجة وفق قواعد المنطق ومن أوضح صوره البرهنة الرياضية وفيها انتقال من الشيء إلى مساويه بل من الأخص إلى الأعم[٢].

ويقوم المنهج الاستنباطي على مقدمات مسلم بها بصفة نهائية أو مؤقتة ونتائج تنتج عنها بالضرورة ومن أوضح صوره البرهنة الرياضية ويُعَدُّ القياس الأرسطي بابًا منه[٣].

ويُعد المنهج الاستنباطي هو المنهج الخاص بالرياضيات، لأن الباحث فيها ينتقل من المقدمات إلى النتائج أو يعمم إحدى القضايا الجزئية دون النظر إلى انطباق ذلك على الواقع أم لا، ولذلك كان المنهج الرياضي هو النموذج الأكمل الذي تسترشد به العلوم الأخرى لما فيه من سعي دائب نحو مثل أعلى غير منظور[٤].

مراحل المنهج الاستنباطي:

تنقسم المراحل أو الخطوات التي يمر بها المنهج الاستنباطي في الرياضيات إلى مرحلتين أو خطوتين هما:

أ- مرحلة وضع المقدمات والمسلمات والتعريفات:

تتكون المقدمات التي يبدأ منها المنهج الاستنباطي من عدة أنواع منها ما

(١) انظر العلم القديم والمدنية الحديثة: جورج سارتون، وانظر مناهج البحث عند مفكري الإسلام (٢٦٠) والكتاب كله بستان مليء بالثمرات عن فضل المسلمين في تطوير المنهج العلمي. رحم الله الدكتور علي سامي النشار وأنزل عليه سحائب الرحمة والرضوان.

(٢) المعجم الفلسفي ص ١٢.

(٣) منهج البحث في العلوم الإسلامية ص (١٠١).

(٤) مناهج البحث العلمي ص (٥٨).

يسمى بالتعريفات وما يسمى بالمسلمات سواء كانت بديهيات أو مصادرات، وتسمى مجموعة المسلمات في الرياضيات نسق البديهيات والتعريفات مهمتها توضيح أو تحديد معاني المصطلحات الرياضية مثل تعريف النقطة والمستقيم والدائرة والطول والعرض ويشترط في التعريفات أن تكون كافية لتوضيح الألفاظ المستخدمة أو تكون منسقة فيما بينها ودقيقة، والبديهيات في الرياضيات هي القضايا الأولية التي تفترض صدقها أو التي تتصف بالوضوح الذاتي فلا تحتاج إلى تعريف وتتمتع بالصدق الضروري فلا تحتاج إلى برهان مثل:

= الكل أكبر من الجزء

= المقداران المساويان لثالث متساويان

أما المصادرات فهي افتراضات يفترضها العلماء ويسلمون بصحتها على مستوى العلم الذي يبحثون فيه وهي تتشابه مع البديهيات في التسليم بصدقها وعدم الحاجة إلى البرهنة عليها والفرق بينهما أن المصادرة نسلم بها في علم خاص معين أما البديهية في كل العلوم، ومن مصادرات إقليدس مثلاً:

= يمكن رسم أي خط مستقيم بين أي نقطتين

= كل الزوايا القائمة متساوية

= الخطان المستقيمان يتقاطعان في نقطة واحدة

ب- مرحلة استنباط النظريات:

بعد أن يضع الباحث الرياضي المقدمات التي يراها ضرورية وكافية لنسقه الرياضي، سواء كانت مع التعريفات أو البديهيات أو المصادرات يبدأ في عملية استخراج النتائج التي تلزم عنها، فهي المرحلة التي يتم من خلالها إتمام البناء الرياضي، وذلك باستخلاص ما يترتب على القول بالفروض والمقدمات الأولى من نتائج أو نظريات، فالنظريات الرياضية هي النتائج التي يتم

استنتاجها أو الاستدلال عليها من المقدمات والنظريات الرياضية لا تكون وحدها صادقة أو كاذبة، إنما صدقها متوقف على صدق المقدمات التي استلزمتها[١].

المنهج التاريخي:

منهج يعتمد على النصوص والوثائق التي هي مادة التاريخ الأولى ودعامة الحكم القوية فيتأكد من صحتها ويفهمها على وجهها ولا يحملها أكثر من طاقتها، وبذا يستعيد الماضي ويكوِّن أجزاءه البالية ويعرض منه صورة تطابق الواقع ما أمكن[٢].

هناك فرق واضح بين دراسة التاريخ ودراسة العلوم التجريبية، لأن التاريخ يدرس الماضي، أما العلوم الطبيعية والتجريبية فهي تدرس الظواهر الراهنة، وتحاول أن تهتدي إلى القوانين العامة أي إلى العلاقات الثابتة بين الأشياء بصرف النظر عن اختلاف الزمان والمكان، وهي تعتمد على الملاحظة والتجربة وتقوم على التعميم، أما الظواهر التاريخية فلا تقع مباشرة تحت ملاحظتنا ولا يمكن دراستها إلا بعد وقوعها أضف إلى ذلك أنها لا تتكرر مطلقًا على نمط واحد، وهذا ما يعبر عنه بالقول: إن التاريخ لا يعيد نفسه[٣].

ومع هذه الفروق فإن هناك أوجه شبه بين البحث في التاريخ والبحث في العلوم التجريبية والمؤرخ لا يكتفي بوصف الحوادث الفردية وتتابعها فقط بل يحاول الكشف عن العناصر الجوهرية في النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية، بهدف الوقوف على أسباب الظواهر دون إهمال لتأثير العوامل الفردية، وكذلك الكشف عن العلاقة السببية بين الحوادث

(١) انظر مناهج التفكير والبحث العلمي ص (٥٨-٦١).
(٢) المعجم الفلسفي ص (١٩٥).
(٣) مناهج التفكير والبحث العلمي ص (٨٠).

الماضية والحاضرة[١].

ولذلك يعتمد المنهج التاريخي على التحليل والتركيب كمنهج لابد منه للخروج بنتائج علمية، فالتحليل يبدأ بجمع الوثائق ونقدها والتأكد من شخصية أصحابها وينتهي إلى تحديد الحقائق التاريخية الجزئية، ثم تبدأ عملية التركيب، فيقوم المؤرخ بتصنيف هذه الحقائق والتأليف بينها تأليفًا عقليًا وقد يضطر إلى سد ما يلقاه فيها من فجوات بالفروض التي يعمل على التحقق من صدقها فإذا تم له ذلك استطاع الاهتداء إلى الصلات بين الحوادث وبين ما خفي من أسرارها[٢].

مراحل البحث التاريخي:

١- التحليل التاريخي:

إذا انتهى الباحث من اختيار موضوع دراسته، ومن جمع الوثائق الخاصة به بدأ يحللها ويمحصها والتحليل نوعان خارجي وداخلي:

أولاً: التحليل الخارجي وتتكون هذه المرحلة من أمور ضرورية منها:

نقد الوثائق: لأن الوثائق بالنسبة للباحث هي بمثابة الشاهد للمحامي في قاعة المحكمة، أي أن الوثائق هي مصادر للمعلومات يجب استخراج البيانات والمعلومات المتعلقة منها.

وهناك بعض الأسئلة يحرص الباحث على الإجابة عليها عند فحص الوثيقة وأهمها:

= من الذي ألف هذه الوثيقة؟

= هل العلاقة بينه وبين الوثيقة علاقة طبيعية ومقبولة؟

---

(١) المنطق الحديث وفلسفة العلوم والمناهج ص (١٥١) د/ محمد عزيز سالم، نشر مؤسسة شباب الجامعة.

(٢) مناهج التفكير ص (٨١).

= هل موضوع الوثيقة يمكن أن يكون داخل نطاق معارف هذا المؤلف؟

= هل يمكن أن يكون هذا المؤلف في المكان المبين وفي الزمن المبين بالوثيقة؟

= هل المعلومات الموجودة بالوثيقة قد وضعها المؤلف بنفسه في الوثيقة أم أنه نسخها ونقلها عن شخص آخر؟

= هل البيانات والمعلومات الموجودة بالوثيقة تتفق مع المستوى المعروف لذكاء المؤلف وتعليمه وخبرته ومزاجه وطباعه؟(١)

ثانيا: التحليل الداخلي:

يطلق هذا على مجموعة العمليات التي يستخدمها الباحث في فهم محتويات الوثائق وتقدير الظروف التي أحاطت بكتابتها، فهي خاصة بالتحقق من صدق النص التاريخي من جهة الموضوع لا من جهة الشكل، والتحليل الداخل نوعان: سلبي وإيجابي:

أ- **التحليل الداخلي الإيجابي:** وهذا التحليل يتطلب تحديد المعنى الحقيقي لكل كلمة في الوثيقة تحديدًا تامًا وإذا لم ندخل أي عنصر غريب عليها، ولا يستطيع المؤرخ التفرقة بين المعنى الظاهر والمعنى الحقيقي إلا إذا ألم بلغة العصر الذي كتبت فيه الوثيقة، وأن يفرق بين أسلوب كاتب وغيره.

ب- **التحليل الداخلي السلبي:** توقفنا هذه العملية على الظروف التي وجد فيها كاتب الوثيقة حين سجل ملاحظاته أو شهادة الآخرين الذين رأوا الظواهر أو الحوادث التاريخية كما ترشدنا إلى الأسباب الخارجية أو البواعث النفسية الداخلية التي ربما دعته إلى الكذب أو أدت به إلى

---

(١) أصول البحث العلمي ومناهجه ص (٢٤٦) د/ أحمد بدر.

الخطأ، والقاعدة التي يجب أن يتبعها الباحث التاريخي هي «**يجب أن يبدأ المؤرخ بالشك وألا يدعه إلا إذا تبين له فساده**»[١].

البحوث الإسلامية ومنهج البحث فيها:

تتفرع البحوث الإسلامية وتتنوع من حيث موضوعها ونوعية المادة التي تدور حولها، فهناك الموضوعات المتعلقة بالدراسات القرآنية مثل التفسير وعلوم القرآن والدراسات المتعلقة بسنة الرسول ﷺ رواية ودراية.

وهناك الدراسات المتعلقة بالفقه وأصوله والسياسة الشرعية.

وهناك البحوث المتعلقة بالعقيدة الإسلامية وعلم الكلام وتاريخه ومباحثه ومشكلاته.

وهناك بحوث الأديان وهي المتعلقة بالملل والنحل والمذاهب من حيث تاريخها ونشأتها وتطورها والعقائد التي تدور حولها.

وهذه الدراسات تتميز بأن منطلقها الأساسي هو القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، على اعتبار أنهما المصدرين الأساسيين للدراسات الإسلامية، ثم العقل باعتباره مصدر القبول والفهم.

أهم الدعائم التي يدور حولها منهج البحث في العلوم الإسلامية:

أولاً: منطلق المنهج في العلوم الإسلامية هو عقيدة التوحيد والإيمان بالوحي الإلهي الذي بعث به محمد ﷺ مصدرًا لهذه العقيدة، ومصدرًا للمعرفة الإنسانية كلها والمسلم مطالب بأن يطوع العلم في خدمة العقيدة الإسلامية بما يكشف عن سنن الله في كونه ويسخر من الطاقات المودعة في الأرض والسماء وبناء على هذا يكون من الخطأ استخدام مناهج الفكر الغربي، الذي قام على الفصل بين الدين والدولة وعداء الدين بالكلية ولا

---

(١) انظر مناهج التفكير ص (٨٦-٩٢)، وانظر أصول البحث العلمي ص (٢٤٤-٢٥٥).

يجوز استعارة نتاج هذا الفكر الذي قام على أساس هذه المناهج للفكر الإسلامي[١].

ثانيًا: البحث في العلوم الإسلامية يقوم على التكامل فيما بينها، فمن أراد أن يبحث في الفقه مثلاً لابد أن يكون دارسًا للقرآن وعلومه والسنة ومصطلحها، وعلم الكلام ومدارسه فضلاً عن علم الأصول، وهذا شأن البحوث في التفسير والدعوة وهكذا، وهذا التداخل بين العلوم الإسلامية لا يلغي التخصص الدقيق في أي فرع من فروعها، وإنما يؤكد أن هذا التخصص لن يبلغ إليه الباحث دون أن يكون دارسًا للعلوم الإسلامية كلها بسبب وحدة الغاية من البحث فيها[٢].

والمنهج المتبع في العلوم الإسلامية وكذا البحوث النظرية المنهج العقلي المنطقي الاستنباطي، لأن المنطق هو الذي يضع ويحدد القوانين العامة للفكر والتي ينبغي أن يعمل كل مفكر بمقتضاها كما أنه يربي في الباحث ملكة النقد وتقدير الأفكار ووزن البراهين والحكم عليها بالصحة أو الخطأ لأن المنطق هو الذي ينظم الفكر البشري ويضع القوانين التي تعصم الذهن من الوقوع في الخطأ.

ويقوم المنطق على قوانين أربعة ينبغي أن يسلم بها كل عاقل، وينبغي أن يعلمها كل باحث حتى يستطيع أن يقوم فكر الآخرين وأن يكون فكره سليمًا وهي:

١- **قانون الذاتية:** معناه أن كل شئ هو ذاته بمعنى أن لكل شئ ذاته الثابتة التي لا تختلط بغيره من الذوات وهذا القانون هو أساس المعرفة والعلم لأننا لو قبلنا فكرة تغيير الحقائق واختلاط الجواهر لكان معنى ذلك

(١) انظر خصائص التصور الإسلامي: سيد قطب ص (١٤).

(٢) منهج البحث في العلوم الإسلامية ص (١٤٩) وما بعدها.

عدم العلم الثابت بها، بل نكون قد فتحنا الباب أمام فلسفة التغيير والنسبية في المعرفة التي نادى بها السوفسطائيون قديمًا وينادي بها الوجوديون والوضعيون وغيرهم من أصحاب الفكر المنحرف.

٢- **قانون عدم التناقض:** ومعناه أن الشيء ونقيضه لا يجتمعان في شئ واحد في آن واحد من جهة واحدة وأهمية هذا القانون ترجع إلى أنه يجنب الباحث أن يكذب نفسه بإثباته لفكرة في مكان ما من بحثه ثم ينفيها في مكان آخر.

٣- **قانون الثالث المرفوع:** ومعناه أن الشيء إما أن يكون صوابًا وإما أن يكون خطأ ولا يخلو من أحدهما لأن ارتفاع النقيضين محال فالثالث بين النقيضين مرفوع أو مطروح أو منفي.

٤- **قانون التعليل:** وهو حركة التفكير في تفسير أسباب الحوادث والظواهر إذ إن العقل لا يتصور وجود سبب بلا مسبب ولا معلول بلا علة(١).

* * *

(١) انظر البحث العلمي ومناهجه النظرية ص (٣٩-٤١) وانظر المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم لفضيلة أستاذنا الدكتور/ عوض الله حجازي، وانظر المنطق واتجاهاته القديمة والحديثة والمعاصرة لفضيلة الأستاذ الدكتور سعد الدين صالح - عليه سحائب الرحمة والرضوان- وانظر: محاضرات في المنطق القديم: د/ فرج الله عبد الباري والدكتور/ يحيى محمد ربيع.

المبحث الخامس

أهم صفات الباحث العلمي

أولاً: الاستعداد الفطري:

ونعني به الموهبة التي يعطيها الله لمن يشاء من عباده، فلا شك أن الله قسم فضله بين خلقه فمنهم القوي ومنهم الغني ومنهم الذكي وهكذا.. حتى يتكامل الناس فيما بينهم، والبحث والصبر عليه موهبة تؤدي إلى خلق وإبداع وإضافة جديدة إلى المعرفة الإنسانية.

ولعل من المناسب أن نذكر هنا حديث رسول الله ﷺ **«من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله عز وجل يعطي»** وقد فسر العلماء هذا الحديث بأن الرسول ﷺ يتحدث بين الصحابة ولكن فهم بعض المعاني يخص الله بها بعض الناس عن غيرهم.

وعلينا أن نفرق بين التفوق الدراسي، والتفوق في البحث العلمي، فبعض الطلاب يلاحظ تفوقهم في سنوات الدراسة وحصولهم على أعلى الدرجات فإذا بدءوا مرحلة البحث في الدراسات العليا نجد مستواهم أقل بكثير عن مستواهم الدراسي، وهذا يدل على أن البحث العلمي استعداد فطري وموهبة يعطيها الله لمن يشاء تنمى بكثرة الاطلاع وسعة المعرفة، والتدريب المستمر على إجراء بعض البحوث أو نقد بعض الكتب حتى تصقل الموهبة بالخبرة والتجربة[1].

---

(١) انظر كيف تكتب بحثًا ص (١٩)، والبحث العلمي ومناهجه ص (٤٨) للدكتور سعد الدين صالح عميد كلية أصول الدين بالزقازيق سابقًا عليه سحائب الرحمة والرضوان.

ثانيًا: الرغبة الحقيقية في البحث:

يجب أن يكون الباحث عنده الرغبة في البحث وعنده حب الاستطلاع والرغبة في البحث والتقصي وأن لا يمل من كثرة القراءة وتتبع جزئيات البحث لأن القراءة والاطلاع من أهم الروافد التي تغذي الباحث ويوسعه آفاق معرفته ويعمقها ومن ثم وجب على الباحث أن لا يدع كتابًا أو موضوعًا تناول بحثه أو جانبًا من بحثه إلا اطلع عليه ودرسه دراسة واعية فاحصة مبنية على الفهم العميق، خشية الوقوع في أخطاء علمية.

وتروي لنا كتب التاريخ عن العلماء المسلمين الذين اتسموا بالصبر والمثابرة على البحث العلمي فقد كان الواحد منهم يجوب العالم الإسلامي شرقًا وغربًا من أجل التثبت من حديث من أحاديث رسول الله ﷺ، كما فعل الإمام «البخاري» في جمعه لصحيحه وكما فعل «البيروني» الذي سافر وارتحل وتعلم لغات الهند، حتى سطر كتابه تحقيق ما للهند من مقولة[١].

وإن ما يقوم به الباحث من الجدة في البحث وبذل الجهد فيه يعود بالنفع الدنيوي من ناحية صلاحية العمل وجودته، والنفع الأخروي من ناحية أن كل وقت يبذله الباحث في بحثه فإنما هو في محراب العبادة وقد وردت أحاديث كثيرة تبين فضل العالم على العابد[٢].

ثالثًا: الصبر والتأني: البحث العلمي نوع من أنواع العمل الشاق الذي يحتاج إلى كثير من الصبر والتأني إذ إن الباحث قد تكون عنده الرغبة، والتحمس للبحث في بداية الأمر ثم تفتر عزائمه بعد ذلك ولذلك يجب أن يكون الباحث صبورًا على البحث ومشكلاته، وعليه أن لا يستسلم للمشاكل التي يقابلها لأن كل مشكلة لها حل، وهذا الحل يأتي ببذل الجهد والتأني وعدم التسرع والغوص في بطون الكتب ومجالسة الأساتذة

---

(١) مناهج البحوث وكتابتها ص (٣٦) بتصرف د/ يوسف مصطفى القاضي.

(٢) انظر الأحاديث التي أوردها الإمام النووي في رياض الصالحين ص (٢٨٤-٢٨٧).

والاستفادة منهم. وكما يقول الإمام علي رضي الله عنه: «**لا يعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمان، وإن كان أول الصبر مر فآخره حلو**»(١).

ولذلك يجب على الباحث أن يصبر على بحثه من البداية إلى النهاية، وأن لا يستعجل الانتهاء من بحثه تأثرًا بغيره من زملائه أو أقرانه فلكل ظروفه، ولكل بحث ملابساته، فعلى الباحث الناجح أن يصبر على مشاق بحثه فلا يمل من البحث عن كتاب أو مقالة يرى أنها ضرورية لبحثه ولا يمل من إعادة قراءة فكرة لم تختمر في ذهنه، ولا يتسرع في صياغة بحثه قبل أن يعده إعدادًا لائقًا، لأن الذين يتسمون بالتسرع في الحصول على رسائل علمية بلا مجهود حقيقي يبذلونه وإنما يحققون ذلك بالطرق الملتوية الذين يفعلون ذلك يخسرون الدنيا والآخرة، ففي الدنيا لن تكون لهم مكانة علمية(٢) بين زملائهم وطلابهم وقرائهم، وأما في الآخرة فسوف يحاسبون لأنهم لم يتقنوا العمل الذي كلفوا به، فضلاً عن الإثم الذي ارتكبوه في اغتصاب مجهودات غيرهم، حتى يصلوا بها إلى ما لا يستحقون(٣).

ثالثًا: الأمانة العلمية:

إن أهم ما يميز الباحث الأمانة العلمية ونعني بالأمانة هنا معناها العام، والخاص فالباحث حامل لأمانة العلم فيجب عليه أن يبذل قصارى جهده في الوصول إلى أفضل النتائج في البحث، ويجب عليه أن يرد الأقوال إلى قائليها ويجب عليه أن لا يغمط أصحاب الحقوق حقوقهم في الإشارة إليهم والإشادة

---

(١) انظر كيف تكتب بحثًا ص (٢٤) للدكتور إميل يعقوب، الناشر: جروس برس، لبنان.

(٢) لأستاذنا الدكتور عبد الله الشاذلي مقولة لنا في مرحلة البحث في الدراسات العليا، أن اللقب العلمي يُنادي به صاحبه أمام أهله وجيرانه، أما حقيقة هذا اللقب واستحقاقه فإنما يكون بين الزملاء والطلاب والأساتذة في الحقل الجامعي، وقد صدق في هذا تمامًا. وكانت مقولته تلك تدفعنا دفعًا إلى الاجتهاد والتفوق جزاه الله خيرًا.

(٣) البحث العلمي ومناهجه ص (٥٠).

بجهودهم، ولبعض الذين ينتسبون إلى البحث العلمي، صفاقة لا مثيل لها، في أخذ النصوص والمصادر، وسرقة الأفكار والعبارات وعدم الإشارة إلى أصحابها، وقدرة على تحريف الكلم عن مواضعه وهم يقلدون بصنيعهم هنا أهل الكتاب الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ويلبسون الحق بالباطل.

رابعًا: التواضع والبعد عن ا لغرور:

ويظهر ذلك في التعبيرات العلمية، فبدلاً من أن يقول: «**نري كذا**» و «**توصلنا إلى كذا**» بنون الجمع، يقول: «**وأشارك غيري كذا**» «**ويبدو أن**» وإذا نقد غيره لا يستخدم ألفاظًا جارحة ولكن دائمًا يلتمس العذر للآخرين، فيقول: «**ولعل الباحث لم يصل إليه بعض ما كتبه الآخرون**» وهكذا يشعر القارئ دائمًا بالتواضع وهذه سجية في النفس تظهر على صفحات البحث، يستطيع القارئ أن يحكم على باحث أنه متعالٍ مغرور أو أنه متواضع مع قوة في البحث ورصانة في الفكر.

ولابد أن نفرق بين العزة والكبر، فالباحث يعتز بأفكاره وبما منحه الله من القدرة على إنجاز أعماله ولكن دون أن يصل به الأمر إلى الاختيال والكبر، فالمؤمن عزيز لا يعرف المهانة أمام الجهلة ومدعي العلم، ولكنه في الوقت ذاته متواضع أمام أساتذته ومعلميه وقرائه[١].

خامسًا: الموضوعية:

ويقصد بها في الباحث أن لا يتعصب لرأيه ويهمل آراء الآخرين، أو يخطئها بلا مبرر وعليه أن يكون بعيدًا عن الهوى والمشاعر الشخصية التي توقعه في الأخطاء، ولا نعني أبدًا أن يتجرد الباحث خاصة المسلم من عقيدته، لأن عقيدة المسلم قائمة على الدليل والبرهان، ومن ثم فهي ليست مشاعر خاصة، وإذا كان بعض الباحثين الذين يكتبون في مناهج البحث خاصة

(١) انظر البحث العلمي ومناهجه ص (٥١).

الغربيين الذين يولون موضوع التجرد من الأفكار المسبقة عند صياغة القوانين واستنتاج النتائج أهمية قصوى، فهذا أمر خاص بهم لأن عقيدتهم مشاعر وأحاسيس دون إقناع عقلي، أما عندنا كمسلمين فإن عقيدتنا تقوم على البرهان والدليل المؤديان إلى اليقين، وما دامت كذلك فلا ينبغي أن يتجرد منها.

وإنما الذي ينبغي على الباحث المسلم أن يتجرد منه تمامًا الهوى الذي يعرف بأنه «ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع»[1].

يقول سبحانه: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ﴾ [النساء :١٣٥] ويقول عز وجل: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية :٢٣].

وقد يقول قائل إن القوانين العلمية التجريبية لا وطن لها ولا دين، وهذا تعميم يحتاج إلى وقفة لأن العلوم والقوانين العلمية لها ناحيتان:

الناحية الأولى:

الحقائق والقوانين الطبيعية التي توصل إليها الإنسان بعد تجارب عديدة واختبارات دقيقة، هذه القوانين لا يشك أحد في أنها عالمية -كقوانين الحركة والكهرباء، والمعادلات الكيميائية- فليست هناك كهرباء إسلامية وغير إسلامية.

الناحية الثانية:

تتمثل في العقلية التي تدون هذه الحقائق والمعلومات، وتضع لها النظريات، كما تتمثل في اللغة والأسلوب الذي تختاره هذه العقلية أداة للتعبير عن هذه النظريات، وهذه الوجهة ليست عالمية بل لكل باحث يعيش في حضارة من حضارات العالم أسلوب يخصه وينفرد به، ولنأخذ مثالاً ندلل به على ما نذهب إليه من الأمور الثابتة علميًا أن كل شئ يبرد يتقلص باستثناء

---

(١) التعريفات للجرجاني ص (٢٢٩) نشر الحلبي ١٩٣٨م.

الماء فإنه إذا تجمد يمتد، وإذا تحول إلى ثلج يخف وزنًا ومن ثم يطفو على سطح الماء، هذه حقيقة علمية لنتأمل كيف يعبر عنها الماديون في الحضارة الغربية، وكيف يعبر عنها المسلمون، إن الماديين يقولون إن الطبيعة هي التي أعطت الماء هذه الخاصية، أي أنها ذاتية طبيعية بينما العالم المسلم، يرد هذا الأمر إلى قدرة الله وحكمته، لكي تتمكن الكائنات الحية في قاع البحر من البقاء على قيد الحياة وممارسة نشاطها، لأن الله لو لم يعط الماء هذه الخاصية لكان كلما تجمد الماء نزل الثلج إلى قاع البحر أو المحيط وما استطاعت الكائنات الحية أن تعيش[١].

فالحقيقة العلمية الواحدة يعبر عنها بصيغتين مختلفتين نظرًا لتوجه الباحث الإيماني أو الإلحادي ولذلك ننادي كما ينادي الأستاذ سيد قطب أن أي علم لا يؤدي إلى الاهتداء إلى الله، ولا يقوم على إدراك فضل الله في تعليم الإنسان ما لم يعلم وفي منحه القدرة على الإدراك، وتسخير النواميس الكونية، أي علم لا يقوم على هذه الأسس هو علم ضال مضل لأن هناك ارتباط بين القاعدة الإيمانية وبين سائر العلوم، حتى ولو كانت هى علوم الفلك والأحياء والطبيعة والكيمياء والطب وغير ذلك إنها كلها تؤدي إلى الله حين لا يستخدمها الهوى المنحرف للابتعاد عن الله، كما اتجه المنهج الغربي في النهضة العلمية المعاصرة[٢].

سادسًا: التجرد من الأفكار والآراء المسبقة:

الباحث المسلم يجب عليه أن يتعامل في بحثه مع الأدلة والبراهين، ويقرر ما يثبته الدليل وتقوم به الحجة، بعيدًا عن تبنيه لبعض الأفكار، لأن أستاذًا قال بها أو لأنها مشهورة بين الباحثين، لأن الحق واليقين يجب أن يجرد عن

---

(١) بين يدي الشباب، بحث للأستاذ أبي الأعلى المودودي ص (١١٠) بتصرف.

(٢) العدالة الاجتماعية في الإسلام ص (٢٧٧) سيد قطب.

الأشخاص والكثرة والقلة، وهذا منهج إسلامي أصيل سبق به القرآن الكريم علماء البحث العلمي بقرون عديدة، يقول سبحانه: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام :١١٦].

ويقول: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف :١٠٣].

فكم من نظريات علمية وأمور عقدية أجمع عليها الخلق ثم ثبت خطؤها بل وزيفها، يقول سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة :١٧٠].

إن بعض الناس قد ينخدعون بآراء الكبار والمشاهير ولكنهم لا يكتشفون هذا الخطأ إلا بعد فوات الأوان وفي الموقف العصيب بين يدي الله عز وجل[١].

إن الباحث العلمي، عليه أن يتشكك في الآراء المطروحة أمامه شكًا منهجيًا يؤدي إلى تمحيص الأدلة، واستظهار الحق وقد فعل هذا الإمام الغزالي[٢]، وجاء أحد أعلام الفلسفة الحديثة وهو «ديكارت» ليقرر أنه لا يقبل شيئًا على أنه حق مسلم به ما لم يعرف يقينًا أنه كذلك، ويؤكد على تجنب التهور والحكم على الأشياء قبل النظر والتثبت حتى يتأكد العقل من صحته تمامًا[٣].

وعلينا أن نفرق بين الشك المنهجي، والشك المطلق الذي يؤدي إلى سوء الظن والخروج عن الحق والذي يجعل صاحبه لا يهتدي إلى أمر مهما كان صوابًا وحقًا.

* * *

---

(١) أعلام الفلسفة الحديثة ص (٢٢) بتصرف، د/ رفقي زاهر.

(٢) انظر المنقذ من الضلال للإمام الغزالي.

(٣) مقال في المنهج، لديكارت ص (٣٠) ترجمة محمد الخضري.

واجبات طالب العلم
عند برهان الدين الزرنوجي (رؤية إسلامية)

برهان الدين الزرنوجي من علماء القرن السادس الهجري، له كتاب: «**تعليم المتعلم طريق التعلم**» وهو من أمتع الكتب التربوية النابضة بالحيوية دائمًا بالرغم أنه من كتب التراث[١].

وقد عرض الدكتور عبد اللطيف العبد أهم ملامح هذا الكتاب الذي قام بتحقيقه، رأيت من الفائدة أن أطلع القارئ عليه، نظرًا لأنه يعالج الكثير من الأمور التي يجب على طالب العلم أن يأخذ بها، من هذه الأمور:

أولاً: يجب على طالب العلم أن يبتعد عن الاشتغال بالعلوم المحرمة، وكذلك يفترض عليه علم أحوال القلب من التوكل والإنابة والخشية فإنه واقع في كل حال.

ثانيًا: لابد لطالب العلم من النية في زمان تعلم العلم إذ إن النية هي الأصل في جميع الأحوال لقوله عليه الصلاة والسلام: «**إنما الأعمال بالنيات**» وينبغي أن ينوي المتعلم بطلب العلم رضاء الله تعالى والدار الآخرة، وإزالة الجهل عن نفسه وعن سائر الجهال، وإحياء الدين وإبقاء الإسلام، فإن إبقاء الإسلام بالعلم، ولا يصح الزهد والتقوى مع الجهل، ولا يصح للمتعلم أن ينوي بالعلم إقبال الناس عليه، ولا استجلاب حطام الدنيا والكرامة عند السلطان وغيره.

ثالثًا: على طالب العلم أن يختار من كل علم أحسنه، وما يحتاج إليه في أمر دينه في الحال ثم ما يحتاج إليه فى المال، ومن الواجب أن يقدم علم التوحيد، ليعرف الله تعالى بالدليل وعلى المتعلم أن يبحث عن الأصول وأن يتجنب الجدل فإنه يبعد الطالب عن الفقه ويضيع العمر،

(١) انظر مناهج البحث العلمي ص (٧٥) د/ عبد اللطيف العبد، الناشر مكتبة النهضة.

ويورث الوحشة والعداوة.

رابعًا: الصبر والثبات أصل كبير في جميع الأمور ولكنه عزيز فالشجاعة صبر ساعة ولذا وجب على طالب العلم أن يثبت ويصبر على أستاذه، وأن يختاره الطالب متى كانت له فرصة في الاختيار، وينبغي أن يختار الأعلم، والأورع والأسن على أساس من التأمل والتفكر، ففي القدوة الحسنة خير كبير، ويجب أن يثبت ويصبر على كتاب حتى لا يتركه أبتر، وعلى فن حتى لا يشتغل بفن آخر قبل أن يتقن الأول، وعلى بلد حتى لا ينتقل إلى بلد آخر من غير ضرورة، والعلة أن هذا يفرق الأمور، ويشغل القلب ويضيع الوقت ويؤذي شعور المعلم، ومما يستتبع الصبر هنا الصبر على المحن والبليات، فقد قيل: خزائن المنى على قناطير المحن.

خامسًا: يجب على طالب العلم أن يعظم العلم وأهله، ومن توقير المعلم ألا يمشي أمامه ولا يجلس مكانه، ولا يبتدئ بالكلام عنده إلا بإذنه، ولا يكثر الكلام عنده، ولا يسأل عند ملالته، ويراعي الوقت، ولا يدق الباب بل يصبر حتى يخرج، ومن تعظيم العلم تعظيم الكتاب، فينبغي لطالب العلم ألا يأخذ الكتاب إلا بطهارة لأن العلم نور، والوضوء نور فيزداد نور العلم به ومن الواجب ألا يمد الطالب رجله إلى الكتاب، وعليه أن يضع القرآن الكريم وكتب التفسير فوق سائر الكتب تعظيمًا لها، ويكره للطالب أن يقرمط الخط فقد قيل: لا تقرمط خطك، لأنك إن عشت تندم، وإن مت تُشتم، وإذا شخت وضعف بصرك تندم.

سادسًا: لابد من الجد والمواظبة والملازمة لطالب العلم، وإليه أشار القرآن الكريم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت :٦٩] وقوله تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾ [مريم :١٢]، فمن طالب شيئًا وجدَّ. وجد وبقدر ما تتمنى تنال ما تتمنى. قال أبو الطيب:

ولم أر في عيوب الناس عيبًا كنقص القادرين على التمام

وعلى طالب العلم أن يراعى في الاجتهاد الموازنة بين العمل والصحة، فإن الرفق بالنفس أمر ضروري، وإن المنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى فالرفق أصل عظيم في كل الأمور، ولا يتنافي مع علو الهمة بأي حال، لكن الكسل شؤم وآفة عظيمة، ومن المستحسن أن يختار الطالب شريكه في طلب العلم، ويشترط أن يكون الشريك مجدًا ورعًا صاحب طبع مستقيم متفهم وعليه أن يفر من الكسلان، والمعطل، والمفسد، والفتَّان.

سابعًا: ينبغي لطالب العلم أن يكون متأملاً في جميع الأوقات، في دقائق العلوم، ويعتاد فإنما تدرك الدقائق بالتأمل ولا بد من التأمل قبل الكلام حتى يكون صوابًا فإن الكلام كالسهم، فلابد من تقويمه بالتأمل قبل الكلام، حتى يكون مصيبًا.

ثامنًا: من واجب طالب العلم أن يشتغل بالشكر باللسان والجنان وأن يرى العلم والفقه والفهم والتوفيق من الله تعالى، ويطلب الهداية من الله تعالى بالدعاء والتضرع إليه، فإنه سبحانه هاد من استهداه، ومن كان له مال فلا يبخل به على العلم، ومن هنا عليه أن يتعوذ بالله تعالى من البخل فإنه أدوأ داء.

تاسعًا: ليس للتعلم سن معينة لأن طلبه من المهد إلى اللحد وأفضل أوقات التحصيل شرخ الشباب، ووقت السحر، وما بين العشاءين، فإذا مل من علم اشتغل بغيره، وكان ابن عباس إذا مل من الكلام قال: هاتوا ديوان الشعراء، ومما يورث الحفظ: الجد والمواظبة، وتقليل الغذاء، وصلاة الليل وقراءة القرآن، ومما يورث النسيان: المعاصي، وكثرة الذنوب والهموم والأحزان[1].

إن ما ذكره «الزرنوجي» يجب أن يضعه الباحث العلمي نصب عينيه فهو لم

(١) انظر مناهج البحث العلمي ص (٧٥-٨١) بتصرف.

يترك لازمًا من لوازم البحث من الناحية العلمية والدينية إلا أشار إليه، ويا ليت الباحثين يصرفون بعض جهدهم إلى تراث الأقدمين ليستخرجوا ما نحن في أمس الحاجة إليه على المستوى الفردي والجماعي.

* * *

المبحث السادس

البحوث العلمية وأنواعها

تتعدد البحوث العلمية وتتشعب جوانبها تبعًا للتخصص الذي ينبثق عنه البحث، وعلى أساس المنهج الذي يتبعه الباحث وأهم التقسيمات تبعًا للتخصص هي:

(١) البحث الوصفي:

ويعني بوصف وتفسير ما هو كائن من الأحداث التي وقعت لملاحظتها ووصفها وتعليلها وتحليلها والتأثيرات والتطورات المتوقعة وأثرها على المستقبل في صورة تنبؤ علمي، ومثل هذه الدراسات تكون في مجالات الدراسات الاجتماعية، والدراسات السكانية، والاقتصاد والجغرافية.

(٢) البحث التاريخي:

وهو البحث الذي يوضح حقيقة العلاقات بين الأشخاص والأحداث والزمان والمكان والبحث التاريخي لا يتم إلا باستخدام الطريقة العلمية لوصف الأحداث وتحليلها مع ما حولها تأثرًا وتأثيرًا.

(٣) البحث التجريبي أو التطبيقي:

يقوم الباحث فيه بإجراء تجارب ودراسة عينات وملاحظة تغيراتها وتأثراتها بطريقة علمية منظمة مستخدمًا الملاحظة العلمية وفرض الفروض، وفحص الفروض تجريبيًا للتأكد من صحته وذلك بهدف الوصول إلى القانون العلمي.

والبعض يقسمها إلى نوعين من البحوث باعتبار المنهج المستخدم في تلك

البحوث: بحوث نظرية، وبحوث تجريبية وهذا ما نعتمده ونسير عليه إذ إن الهدف من تلك الدراسة البحوث النظرية من حيث الموضوع، والتحقيق.

البحوث الجامعية وأقسامها:

هناك من يقسمها إلى:

١- بحوث على مستوى المرحلة الجامعية الأول البكالوريوس - الليسانس - «الإجازة» العالية.

٢- بحوث على مستوى الماجستير والدكتوراه.

وبحوث غير جامعية مثل: بحوث المؤتمرات العلمية، وبحوث الجوائز والمسابقات العلمية.

والذي يهمنا في هذا كله البحوث النظرية، على مستوى المرحلة الجامعية، ثم على مستوى الماجستير والدكتوراه.

أولاً: البحوث على مستوى المرحلة الجامعية الأولى:

وهذه البحوث تسمى بالبحوث الصفية وتطلب من الطالب في سنوات الدراسة الجامعية ويختار له أستاذ متخصص عنوان البحث ويرشده إلى المصادر والمراجع التي تساعده على إتمامه ويكون غالبًا محدد الكم والكيف[١].

والغرض من هذا البحث يتمثل في الآتي:

(١) تعويد الطالب على التفكير والنقد الحر في فترة مبكرة من دراسته.

(٢) تدريب الطالب على حسن التعبير عن أفكاره وأفكار الآخرين بطريقة واضحة.

(٣) إظهار كفاءة الطالب في مجالات وموضوعات لم يتناولها

(١) انظر أضواء على البحث والمصادر ص (٣٢) د/ عبد الرحمن عميرة.

المنهج الدراسي.

(٤) التعرف على كيفية استخدام المكتبة سواء من ناحية التصنيف والفهارس وهذا الغرض من أهم الأغراض- للبحوث الصغيرة- أن يتعود الطالب على دخول المكتبة والنظر في كتبها والبحوث الموجودة فيها.

(٥) إعداد الطالب لمرحلة الدراسات العليا من ناحية ومن جهة أخرى تدريبه على وظيفته التى يُعد لها في المجتمع[١].

وقد اهتمت بعض الجامعات العربية والإسلامية بهذه البحوث الصفية اهتمامًا كبيرًا أذكر من هذه الجامعات: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. إذا تهتم هذه الجامعة بالبحوث الصفية، وتجعلها مادة مستقلة على الطالب أن يجتازها في المرحلة الجامعية وتقدم الموضوعات للقسم المختص عن طريق اقتراح الأساتذة ثم إقرار هذه الموضوعات وتوزيعها على المراحل الدراسية تبعًا لصعوبتها وسهولتها، ويعين لكل عشرة طلاب أستاذًا يشرف على البحث، ويناقشهم فيه وتعطى لهم الدرجة بناء على تقديرات للمنهج، ولسلامة اللغة والتعبير وحسن استخدام المصادر والمراجع، وهكذا، وبعض الطلاب النابهين يعدون هذه البحوث بطريقة علمية رصينة بتوجيه الأستاذ المشرف، مما يجعلها أساسًا لرسالة الماجستير أو بحث مستقل يطبع فيما بعد.

ثانيًا: البحوث على مستوى الماجستير والدكتوراة (الموضوعات) (التحقيق):

هذه البحوث هي زبدة الدراسات الجامعية العليا، وهي البحوث التي تؤهل الباحثين للصعود إلى السلم الجامعي في التدريس، ونعني بالموضوعات هنا: الموضوعات المختارة من قبل الطالب أو الأستاذ أو القسم.

---

(١) انظر: البحث العلمي ومناهجه النظرية ص (٤٦، ٤٧).

(أ) بحث لنيل درجة «الماجستير» التخصص:

وهي دراسة مبتكرة في موضوع من الموضوعات، أو تحقيق مخطوطة لم يسبق تحقيقها أو حققت ولكن لا زال فيها بعض الجوانب التي تحتاج إلى تجليتها والكشف عنها.(١)

والهدف الأول لدرجة الماجستير هو أن يحصل الطالب على تجارب في البحث تحت إشراف أحد الأساتذة ليتمكن بعد ذلك من مواصلة البحث للدكتوراة(٢). ومن ثم يذهب كثير من الباحثين إلى أن الغاية من الماجستير تقويم منهج الطالب أكثر من هدف الاكتشاف فهي مقدمة لأطروحة الدكتوراة التي تهدف إلى الاكتشاف والابتكار ولذلك يتم التركيز في مناقشتها على المنهج أكثر من الأمور الجديدة التي أتت بها.

أما المجالات التي تبحث فيها رسالة(٣) الماجستير فهي:

(١) معالجة موضوع معين، في اللغة أو في الدراسات الإسلامية أو الدعوية أو العقدية أو الشرعية، وكذا في الحضارة والتاريخ، أو شخصية لإبراز جهودها في علم أو فن من الفنون أو تيار فكري أو أدبي، وما شابه ذلك، وعدد صفحاتها غير محدد إذ يرجع هذا إلى معالجة الباحث للموضوع.

(٢) تحقيق(٤) مخطوط من المخطوطات ويشترط لتحقيق المخطوطة في رسالة الماجستير.

أ- أن تكون المخطوطة غير محققة أصلاً، بمعنى أنها تخرج للنشر لأول

---

(١) أضواء على البحث والمصادر ص (٣٢).

(٢) كيف تكتب بحثًا أو رسالة ص (٣٩).

(٣) بعض الباحثين يفضلون كلمة "رسالة" للبحث الذي يعده الطالب لنيل درجة الماجستير بينما يطلقون على الدكتوراه أطروحة. وهذه وجهات نظر تعبر عن رأي قائليها فقط انظر منهجية البحث ص٢٨ ، ٢٩.

(٤) سنتحدث عن التحقيق ومنهجه في مبحث مستقل.

مرة أو تكون منشورة زعم صاحبها أنه حققها، ولكن وجد فيها أخطاء كثيرة، فيقوم الباحث بتحقيقها، ومن الممكن أن تكون المخطوطة نشرت بالفعل ولكن لم تحقق أصلاً، وإنما قدمت كما هي بدلاً من الخط الذي كتبت به، كتبت بحروف المطبعة، فهذه أيضًا ينظر إليها كما أنها لم تنشر أصلاً.

ب- أن تستحق المخطوطة النشر لإضافتها جديدًا في مادتها العلمية.

ج- الحجم: وذلك بأن يكون مناسبًا ومعرفة كون الحجم مناسبًا يكون بالنظر إلى المخطوطة نفسها[١].

وأخيرًا تعد رسالة الماجستير امتحانًا للطالب، يقاس فيه مدى قدرته على صلاحيته مستقبلاً لأطروحة الدكتوراه وإعداده وتدريبه.

(ب) بحث لنيل درجة «الدكتوراه» العالمية[٢]:

وهي تطلق على البحث الذي يقدمه الطالب لنيل شهادة الدكتوراة في تخصصه وهي أرفع درجات البحث قيمة، وعلمًا، ومنهجًا وتقوم بالإضافة إلى منهجها على ما تكشفه في مجال الدراسة من أمور خفيت على المتقدمين أو التبست عليهم أو أهملوها، وعلى ما تقدمه للعلم من مستجدات تساعد في تطوره ونمائه[٣]، ورسالة الدكتوراه لا تختلف من حيث الشكل عن رسالة الماجستير فهي:

١- إما بحث مبتكر في موضوع لم يبحث بعد.

٢- أو تحقيق مخطوطة يرى الطالب أنها تملأ فراغًا في المكتبة.

٣- أو تحقيق ودراسة لإحدى المخطوطات[٤].

---

(١) أضواء على البحث والمصادر ص (٣٣).

(٢) لجامعة الأزهر الشريف فضل السبق في النص على الشهادات العلمية، فدرجة الليسانس تعني في جامعة الأزهر "الإجازة العالية" والماجستير "التخصص" والدكتوراه "العالمية".

(٣) منهجية البحث ص (٢٩).

(٤) أضواء على البحث والمصادر ص (٣٤).

وتعتمد أطروحة الدكتوراه على مراجع أوسع، وتحتاج إلى براعة في التحليل وتنظيم المادة ويجب أن تعطي فكرة عن أن مقدمها يستطيع الاستقلال بعدها في البحث دون أن يحتاج إلى من يشرف عليه ويوجهه[1] أما عن عدد صفحاتها فغير محدد ولكنه يزيد في العادة على عدد صفحات الماجستير، وإن كانت العبرة بالكيف لا بالكم، لأنه ليست غاية البحث الدلالة على كثرة ما يقرأ الباحث من المصادر والمراجع وإنما هو الاستنباط من مجموع ما يقرأه قضايا جديدة وأفكار مستجدة، وإذا كان الباحث عادة يُنصح بالاتساع في القراءة والمطالعة فليس لكثرة ما يكتبه وإنما بعمق ما يبحثه[2].

علاقة الأستاذ المشرف بالباحث:

التقاليد الجامعية والضرورة العلمية يقتضيان أن يكون للباحث في رسالة الماجستير والدكتوراه، مشرفًا علميًا على بحثه أو أكثر من مشرف إذا اقتضى الأمر. وليس هناك قاعدة عامة لاختيار الأستاذ المشرف فبعض الجامعات تسمح للطالب اختيار المشرف، والاتفاق معه على مشروع البحث وخطة العمل، ثم تعرض النتيجة على القسم للموافقة بعد إقرار البحث والمشرف.

وبعض الجامعات، توكل أمر اختيار المشرف إلى القسم حسب التخصص أو حسب الدور في الإشراف.

وهناك بعض الواجبات على الطالب تجاه أستاذه وأيضًا على الأستاذ تجاه الطالب:

أولاً: واجبات الطالب تجاه أستاذه:

علاقة الطالب بمشرفه هي علاقة العالم بالمتعلم بما توجبه هذه العلاقة من

---

(١) كيف تكتب بحثًا أو رسالة ص (٤٠) د/ أحمد شلبي، وانظر البحث العلمي ومناهجه ص (٣١-٣٣).

(٢) منهجية البحث ص (٦٦).

آداب وأخلاقيات وحقوق وواجبات، فمن واجبات الباحث:

(١) أن يستمع إلى مشرفه بإنصات وأدب وأن يستجيب للتوجيهات التي توجه إليه والامتثال لنصائحه وإطلاعه على كل ما يعترضه من مشاكل، وأن يتقبل النقد بصدر رحب بل وعليه أن يشكر الأستاذ على توقيفهِ على ما فيه من فضيلة، وعلى توبيخه على ما فيه نقيصة مما فيه إيقافه عليه وإرشاده وصلاحه، ويُعدُ ذلك من نعم الله تعالى عليه باعتناء الشيخ به ونظره إليه فإن ذلك أمثل إلى قلب الشيخ، وأبعث على الاعتناء بمصالحه[١].

(٢) على الباحث أن لا يلجأ إلى أستاذه في كل صغيرة وكبيرة، وإنما عليه أن ينظر إلى أستاذه على أنه ملاذ يلجأ إليه لكي يقدم المساعدة فقط عندما يصبح السير والمشكلات معقدة وعلى الطالب أن يعلم أن وقت المشرف ليس سهلاً ولا هينًا فلا يضيع هذا الوقت إلا في المفيد، لذلك يجب عليه أن يدون الأسئلة التي يريد الاستفسار عنها ، وأن يكتب كل ما يعرضه المشرف من إجابات واقتراحات، وأن لا يكابر ولا يعاند لأن الأساتذة المشرفين خاصة الذين يراعون الله في إشرافهم[٢]، كلماتهم وتوجيهاتهم تكتب بماء الذهب على صفحات القلوب.

---

(١) انظر البحث العلمي ومناهجه ص (٧٧-٧٨)، ومنهجية البحث ص (٣٩-٤٠)، وآداب المتعلمين ص (٤٣) بتصرف.

(٢) أذكر هنا أستاذين جليلين وعالمين فاضلين لا أزكيهم على الله، كان لهما الفضل بعد الله في توجيهي للبحث العلمي في فترة الدراسة الجامعية والدراسات العليا، هما فضيلة الدكتور/ عبد الله يوسف الشاذلي رئيس قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بطنطا، وفضيلة الدكتور/ يحيى هاشم حسن فرغل الذي أشرف عليَّ في رسالة الماجستير. وأشهد الله أنه بذل معي جهدًا خاصة في علم الكلام وقد جلست معه الساعات الطوال طوال فترة الإشراف أتعلم منه وأتخلق بأخلاقه وكان جزاه الله خيرًا لا يخلط بين البحث العلمي والعلاقات الشخصية فكانت الرسالة بحق مس[illegible] العلمي، الأمر الذي جعل دور النشر تتسابق في نشرها، وقد نشرت في كتاب بعنوان "اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام" نفذت الطبعة الأولى، وطبع طبعة ثانية ونفذت وسوف تطبع منه طبعة ثالثة إن شاء الله تعالى.......................................=

وأخيرًا إلى الطلاب هذه الوصية الجامعة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث يقول: «**من حق العالم عليك أن لا تكثر عليه السؤال، ولا تفشين له سرًا ولا تغتابن عنده أحدًا، ولا تطلبن عثرته، وإن ذل قبلت معذرته وعليك أن توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ أمر الله، ولا تجلسن أمامه وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته**». أخرجه بلفظه ابن عبد البر والخطيب بزيادة قوله «**من حق العالم عليك أن تسلم على القوم عامة، وتخصه دونهم بالتحية وأن تجلس أمامه ولا تشيرن عنده بيدك ولا تقولن قال فلان خلاف قولك، ولا تعرض طول صحبته فإنما هو بمنزلة النخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شيء وإن المؤمن العالم لأعظم أجرًا من الصائم القائم الغازي في سبيل الله، وإذا مات العالم انثلمت في الإسلام ثلمة لا يسدها شيء إلى يوم القيامة**».

أما ما يطلبه الباحث من أستاذه المشرف فهو:

(١) أن تكون علاقة المشرف بالباحث علاقة الوالد بابنه فيها اللين والمحبة واللطف، والحزم والمناقشة الحرة والتقدير ومن واجبات المشرف

=أما فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد الله يوسف الشاذلي -حفظه الله- فهو صاحب الفضل عليّ بعد الله سبحانه في إمدادي بالأفكار العلمية القيمة، وقد أشرف عليّ في أطروحة الدكتوراه، وأشهد الله أنه أفادني إفادة قصوى في الرسالة من ناحية المنهج العلمي بوجه عام والتقسيم المنهجي لأبواب وفصول الرسالة، فكم من مرة كانت ترتعد فرائصي من صعوبة المنهج والبحث وما أن أجلس بين يديه حتى يتحول الصعب إلى سهل، وأمر آخر أذكره لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الله الشاذلي، وهو تشدده معي، أثناء إعداد الرسالة، فكم من فصل ومبحث أعدت كتابته أكثر من مرة، الأمر الذي جعلني أجد في البحث وأترك الأهل والولد وأتفرغ للرسالة حتى ظهرت على المستوى الذي قال عنه فضيلة الأستاذ الدكتور محيي الدين الصافي العضو الخارجي للمناقشة "أتمنى أن يكون كل طلاب الدراسات العليا على مستوى صاحب هذا البحث"، وقد أشار فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الله الشاذلي، بكتابة هذه العبارة في التقرير الجماعي للجنة، وما كان للبحث ولا للباحث أن يصل إلى هذا، لولا الجهد الذي بذله الأستاذ المشرف مع الأبوة الحانية التي كان يولينا إياها منذ دراستنا الجامعية حتى حصلنا على درجة الأستاذية وما زال فضله موصولاً إن شاء الله، ولا يفوتني أن أذكر بالتقدير والعرفان فضيلة الأستاذ الدكتور/ فتحي الزغبي الذي كان مشرفًا متابعًا على رسالة الدكتوراة وكم كنت سعيدًا ومفتخرًا بمتابعته الإشراف على رسالتي، فقد أتاح لي جزاه الله كل خير مكتبته الخاصة، مع نظرات ثاقبة في البحث وإخلاص في إيصال الخير لي على كل المستويات. فجزاه الله كل خير وسدد خطاه.

نحو طالبه قبل الإرشاد إلى المصادر والمراجع والنصح والإرشاد، تشجيعه وعدم تثبيط همته أو السخرية منه أو الاستهزاء به مهما كان عمله ناقصًا[(١)].
وأن يتمثل الأستاذ المشرف قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء :٩٤].

(٢) أن يبتعد عن فرض آرائه الشخصية على الباحث مهما كانت صائبة لأن الطالب هو المسئول أولاً وآخرًا عن موضوعه[(٢)].

أذكر هنا واقعتين على المستوى الشخصي الأولى: في رسالة الماجستير كان عنوان البحث «اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام» وكان الترتيب أن أبدأ باليهودية فالمسيحية فالإسلام، ولكن بعد البحث تبين لي أن البدء باليهودية خاصة في واقعات اليوم الآخر سوف يؤدي إلى فراغ علمي في الرسالة، فعلى سبيل المثال واقعة مثل الصراط، ليس لها عند اليهود وجود فلو بدأت بها، لقلت مبحث الصراط عند اليهود، وليس تحتها معلومات، أما لو بدأت بالإسلام فهناك الكثير من المادة العلمية، ثم أقول بالرجوع إلى المصادر اليهودية والمسيحية لم أجد أي معلومات عن هذه الواقعة، وحاورت أستاذي المشرف في ذلك أن أبدأ بالإسلام فاقتنع بوجهة نظري، وأثناء المناقشية، أثار هذه المشكلة فضيلة الأستاذ الدكتور رءوف شلبي -عليه رحمة الله- فدافعت عن وجهة نظري، وأيدها فضيلة الدكتور يحيى هاشم ودافع عنها أثناء المناقشة.

أما الواقعة الثانية فكانت في أطروحة الدكتوراه، وكنت بتوجيه من الأستاذ المشرف فضيلة الدكتور عبد الله الشاذلي -حفظه الله- قد قسمت المادية

(١) منهجية البحث ص (٣٩).
(٢) منهجية البحث ص (٣٩).

إلى المادية المؤلهة والمادية المنكرة، على أبواب العقيدة، الإلهيات، والنبوات، والسمعيات، وعند الحديث عن المادية المؤلهة، تحدثت عن البراهمة، وأنهم لا ينكرون النبوات وأن الشبهات التي نُقلت عنهم، لم يقولوا بها وإنما أشاعها الملحدون في المجتمع الإسلامي، ونسبوها إلى البراهمة[١].. وأيدت وجهة نظري بكثير من الحجج، وقد عرضت وجهة نظري على أستاذي المشرف، فقال هذا الرأي مخالف لما عليه علماء الكلام وغيرهم من المؤرخين، ولكن إذا كان عندك حجج فأثبتها وبالفعل أيدت وجهة نظري ودافعت عنها. وقد أوردت هاتين الواقعتين. حتى ننمي المناقشة الحرة بين الباحث وأستاذه المشرف.

(٣) على الأستاذ المشرف أن يحدد وقتًا للطالب يجلس معه فيه، كل أسبوع ساعة أو أكثر أو أقل المهم أن يكون هناك لقاء بين الطالب والمشرف فهذا اللقاء فيه العون على إتمام البحث على الوجه الأكمل من الناحية العلمية والمنهجية، ومن الناحية الزمنية إذ كلما بعُد اللقاء بين الطالب والمشرف، كلما تراخى الطالب في البحث، وكلما نسى بعضُ الأساتذة البحث وصاحبه.

وأخيرًا أذكر نفسي وإخواني من الأساتذة المشرفين بباقة من سلوك علمائنا مع طلابهم، جاء في **«طبقات الشافعية»** أن **«الربيع بن سليمان»** تلميذ **«الشافعي»** وكاتبه كان بطيء الفهم فكرر عليه **«الشافعي»** في مسألة واحدة أربعين مرة فلم يفهم فقام **«الربيع»** من المجلس حياءً، فدعاه **«الشافعي»** في خلوة وكرر عليه حتى فهم وقال له **«الشافعي»**: **«يا ربيع لو قدرت أن أطعمك العلم لأطعمتك إياه»**[٢].

---

(١) انظر رسالتنا موقف القرآن الكريم من الفكر المادي. مكتبة كلية أصول الدين بطنطا.

(٢) أخرجه البيهقي في مناقب الشافعي نقلاً عن آداب المتعلمين ص (٥٢) د/ أحمد الباتلي دار القاسم. الرياض.

وقال «**الآجري**» في كتابه أخلاق العلماء: «**فعلى المعلم أن يكون صبورًا على من كان ذهنه بطيئًا عن الفهم حتى يفهم ولا يعنفه بالتوبيخ فيخجله**»[١].

وعلينا أن نجعل قول الرسول ﷺ نصب أعيننا: (علموا ويسروا ولا تعسروا)[٢].

* * *

(١) أخلاق العلماء للآجري نقلاً عن آداب المتعلمين ص (٥٢).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد.

بحثه بصورة جزئية أو بطريقة يعتقد الباحث أنها غير كافية.

ج- حصره وضيق ميدانه لأن البحث كلما كان ضيقًا كان أكثر صلاحية، لأن الطالب يعالجه معالجة علمية دقيقة، أما إذا كان الموضوع واسعًا فإن الباحث سيعالجه معالجة سطحية لا تحقق الغرض من البحث.

د- وفرة المصادر والمراجع.

يأتي هذا المعيار من أهم المعايير، لأن بعض الطلاب يعمدون إلى موضوعات خيالية ليس لها واقع ملموس في المصادر والمراجع، ومن ثمَّ على الطالب أن يغلب على ظنه وفرة المصادر والمراجع للموضوع المراد بحثه، وذلك يرجع إلى كثرة القراءة وسعة الاطلاع والسؤال الدائم لأهل الاختصاص ومتابعة الجديد من الإصدارات العلمية، إذ هي الوقود، والغذاء الذي ينطلق الطالب منه للبحث[١].

كل ما سبق كان حول نقطة واحدة وهو اختيار الموضوع من قبل الطالب، بتوجيه الأساتذة.

وهناك بعض الصور الأخرى لاختيار الموضوع منها:

(١) أن بعض الأساتذة تكون لديهم أفكار جيدة صالحة لتسجيل الماجستير أو الدكتوراه، ولكن ليس عندهم الوقت الكافي لإخراج هذه الأفكار في بحوث علمية، فيعطونها لطلابهم، وهنا لابد أن يكون الطالب عنده الرغبة الحقيقية، في الموضوع المعروض عليه، فإذا لم تكن لديه الرغبة فلا يُقدم عليه، ووجب عليه أن يبحث لنفسه وأن يختار موضوعه من خلال القراءة وإعمال العقل.

(٢) وهناك طريقة أخرى لاختيار الموضوع تتمثل في مشروعات علمية

---

(١) انظر منهجية البحث ص (٣٢-٣٣).

يتبناها القسم ويضعها كخطة متكاملة للتسجيل لدرجة الماجستير أو الدكتوراة أو مشروع تحقيق علمي لأحد المخطوطات التي يقوم بها مجموعة من طلبة الماجستير أو الدكتوراه، كل هذه وسائل متاحة لاختيار موضوع البحث، أفضلها وأهمها وأجدرها اختيار الطالب لموضوع بحثه بتوجيه أساتذته.

المرحلة الثانية: مشكلة البحث:

من الأمور الرئيسة التي يجب أن تكون نصب عيني الباحث مشكلة البحث، لأن حل هذه المشكلة هو القيمة الحقيقية التي يخرج بها الباحث من بحثه، وللأسف الشديد فإن البعض يبدأ في بحثه بخطة هلامية ليست محددة المعالم، وليس لها غاية، وبعد أن ينتهي من بحثه يلاحظ هو، ويلاحظ الآخرون أنه لم يقدم شيئًا أصلاً، ولم تكن هناك مشكلة لا حقيقية ولا مفتعلة مما يضيع الوقت والجهد والإمكانيات أيضًا، ولذلك يجب أن يحدد الباحث مشكلة بحثه وتكون واضحة في ذهنه، حاضرة يدافع عنها ويعرضها في سلاسة ووضوح.

إن تحديد المشكلة يعني «**صياغة المشكلة في عبارات واضحة ومفهومة ومحددة تعبر عن مضمون المشكلة ومجالها، وتفصلها عن سائر المجالات الأخرى**»[1].

لأن وضع المشكلة على هذا النحو يوجه الباحث إلى العناية المباشرة بمشكلته وجمع البيانات والمعلومات المتعلقة بها، وبهذا يختصر الوقت والجهد ويدخل إلى موضوعه مباشرة الأمر الذي يجعله يحدد بدقة المصادر التي يرجع إليها، كل هذا مترتب على تحديد المشكلة.

وهناك معايير لتقويم مشكلة البحث، منها:

١- هل تعالج المشكلة موضوعًا جديدًا أو موضوعًا مكررًا؟

(١) البحث العلمي مفهومه وأدواته ص (٧٥).

من معنى، عليه أن يحدد بالضبط المعنى المراد في بحثه فذلك يرفع الإيهام لدى القارئ، ولدى الباحث نفسه[١].

المرحلة الرابعة: المخطط التفصيلي للبحث (أو هيكل البحث):

للبحث العلمي مصطلحات يستخدمها الباحثون في تخطيط البحث العلمي وعادة ما يشتمل البحث على:

المقدمة، وبعدها مدخل أو تمهيد، حسب طبيعة البحث.

الأبواب.

الفصول.

المباحث.

المسائل أو المطالب.

الخاتمة.

المصادر والمراجع.

الفهارس.

ويلاحظ أن هذا الترتيب يبدأ بالأعم فالأخص.

فالأبواب تحتها فصول والفصول تحتها مباحث، والمباحث تحتها مسائل أو مطالب.

وليس هناك إلزام بهيكل محدد للبحث، بمعنى أن بعض البحوث تحتوي على فصول فقط والفصول تحتها مباحث، وبعض البحوث تبدأ بالأبواب والأبواب تقسم إلى فصول وهكذا.

---

(١) البحث العلمي مناهجه وتقنياته ص (٧٣).

ومن المفروض أن يكون بين أجزاء البحث تسلسل منطقي وترابط عضوي مع براعة في اختيار العناوين التفصيلية، وهذا كله متوقف على مقدار نجاح الباحث في اختيار الخطة التي اعتمدها منذ بدئه في البحث.

وتجدر الإشارة هنا إلى وجوب التناسب بين أجزاء البحث[1]، فلا يكون الفصل أكبر من الباب حجمًا ومادة علمية ولا يكون المبحث أكبر من الفصل أو المسألة أكبر من المبحث وهكذا.

وعلى الباحث أن يضمن خطته: أهمية البحث، فهذا هو السبب الذي جعله يبحث أصلاً، وعليه أن يحدد المنهج الذي سيسير عليه في بحثه هل هو المنهج الوصفي أو التحليلي، أو الاستقرائي، وعليه أن ينص على ذلك ويلتزم به، ثم عليه أن يشير إلى الدراسات السابقة في الموضوع حتى يتجنب التكرار وحتى يُقنع القسم الذي سيسجل فيه بأهمية الدراسة، وأنها تختلف عن الدراسات السابقة، وبمقدار اهتمام الباحث بهذه الأمور تؤخذ الفكرة عنه بالأمانة العلمية والجدية في البحث.. والاحترام والتقدير بين أساتذته وزملائه.

المرحلة الخامسة: حصر المصادر والمراجع:

بعد أن يختار الباحث موضوعه ويحدد مشكلته ويستقر على عنوانه يبدأ في حصر المصادر والمراجع، إذ هي المادة التي تمد الباحث بمفردات بحثه.

وقد فرق علماء البحث العلمي بين المصادر والمراجع، وسوف نتحدث عن كلٍ بكلمة موجزة:

(١) المصادر: جمع مصدر، وهو أقدم مادة علمية كتبت عن الموضوع، أو هي المكتوبات القديمة التي كُتبت بيد الثقات الذين كان لهم دور في تقدم العلم وتحرير مسائله أو عايشوا الأحداث والوقائع، وتتميز المصادر العلمية

(١) منهجية البحث ص (٧٦-٧٧).

أ- معاجم الألفاظ:

مثل: لسان العرب «**لابن منظور**»، والقاموس المحيط «**للفيروز آبادي**»، ومختار الصحاح «**لمحمد بن أبي بكر الرازي**»، ومثل معجم «**العين**» «**للخليل ابن أحمد الفراهيدي**» واضع علم العَروض، ومثل تاج العروس «**للزبيدي**».

ب- معاجم تهتم بالمعاني:

مثل: كتاب فقه اللغة «**للثعالبي**» ت ٤٢٩هـ، والمخصص لابن سيده ت ٤٥٨هـ.

ج- معاجم الألفاظ الدخيلة على اللغة العربية:

مثل: كتاب «**المُعرب**» «**للجواليقي**» ت ٥٤٠هـ، ومثل شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل «**لشهاب الدين الخفاجي**» ١٠٦٩هـ، وهذان الكتابان يرصدان الألفاظ الدخيلة على العرب والتي استعملوها.

وهناك معاجم وقواميس حديثة على الباحث أن يعرف طريقة الكشف فيها عن المادة العلمية وأهم هذه المعاجم والقواميس ما صدر عن المجامع اللغوية في العالم العربي مثل مجمع اللغة العربية بمصر، وسوريا، فقد صدر عن هذين المجمعين الكثير من المعاجم وذخائر عيون التراث العربي والإسلامي.

رابعًا: كتب التراجم والطبقات:

وهذه الكتب تملأ المكتبة العربية قديمًا وحديثًا، وقيمة هذه الكتب أنها تمد الباحث بمعلومات مفيدة عن العلماء ومؤلفاتهم والعلوم وأسماء كُتبها وأهمها:

١- الفهرست لابن النديم ويُعد من أقدم الكتب التي اهتمت بأسماء الكتب ومؤلفيها.

٢- البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي صاحب التفسير المعروف.

٣- سير أعلام النبلاء للذهبي ت ٧٤٨هـ.

٤- وفيات الأعيان لابن خلكان ت ٦٨١هـ.

٥- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد ت ١٠٨٩هـ.

٦- معجم الأدباء لياقوت الحموي ت ٦٢٦هـ.

٧- عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة.

٨- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ت ٤٦٣هـ.

٩- أُسْد الغابة لمعرفة الصحابة لابن الأثير ت ٦٣٠هـ.

١٠- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ت ٨٥٢هـ.

١١- طبقات المفسرين للسيوطي ت ٩١١هـ.

ومن الكتب المؤلفة حديثًا في أسماء العلماء ومؤلفاتهم ولا يستغني باحث عنها:

١- الأعلام لخير الدين الزركلي.

٢- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة.

هذان المعجمان يهتمان بأسماء المؤلفين وكتبهم[١].

وهناك بعض الموسوعات العلمية المتخصصة التي ترجمت للكتب ومؤلفيها، منها:

١- تاريخ الأدب العربي «**لكارل بروكلمان**» ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار.

---

(١) استندت فيما كتب عن المراجع والمصادر وأنواعهما من مذكرة البحث والمصادر المعا[illegible] من قبل الأساتذة الذين كانوا يدرسون مادة البحث والمصادر في كلية أصول الدين قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وكان لي شرف تدريس مادة البحث والمصادر للطلاب والطالبات طوال فترة إعارتي لجامعة الإمام.

جهة أخرى تحيل إلى طائفة كبيرة من المصادر وأماكن وجودها يكون الباحث في أمس الحاجة إلى معرفتها خاصة في بداية البحث.

أما عن المعلومات المشوشة، فالباحث في تلك المرحلة الأصل فيه أن يكون قد نضج علميًا بحيث يعلم الغث من السمين، وبعض دوائر المعارف عُلق عليها من قبل المترجمين، كما حدث في دائرة المعارف الإسلامية، حيث عُلق في الهامش على كثير من موادها، وإن كان الأمر يحتاج إلى جهد كبير في تنقية هذه الموسوعات، من الشوائب خاصة التي تتحدث عن الإسلام بغير علم.

الوسائل المتبعة في تدوين المادة العلمية:

هناك عدة وسائل يسلكها الباحثون في تدوين المادة العلمية، وكل وسيلة مُرجحة تكون نابعة من سلوك صاحبها، ولابد للباحث أن يجرب عدة وسائل حتى ينتهي بعد التجربة إلى الطريقة التي يستريح إليها:

الطريقة الأولى: البطاقات:

وتصنع البطاقات من الورق المقوى، ومقاسها حسب المظروف الذي يستخدمه الباحث كبيرًا أو صغيرًا تدون فيها الكتابة على وجه واحد، وتوضع عناوين لكل نص، حتى يسهل الرجوع إليه، ويكتب أسفل البطاقة بيانات المصدر الذي اقتبس منه النص، مبينًا اسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الجزء، رقم الصفحة، الناشر، سنة النشر، رقم الطبعة، ولا يكتب الباحث إلا نصًا واحدًا من كتاب واحد في كل بطاقة، فإذا أراد الباحث أن يعلق على النص الذي نقله، فعليه أن يكتب في ظهر البطاقة، وأن يشير بسهم بلون مختلف إلى ما كتبه حتى ينتبه إليه عند كتابة البحث وهناك بعض الأمور يستحسن مراعاتها عند استخدام البطاقات منها:

(١) أن يجعل لكل فصل أو مبحث بطاقات خاصة به توضع في ظرف

خاص به يكتب عليه عنوان الباب أو الفصل أو المبحث.

وهناك طريقة تأتي بنتائج حسنة تتمثل في أن يكتب على كل ظرف، اسم الباب، ثم اسم الفصل ثم اسم المبحث.. أي أن هذه المادة المكتوبة في المبحث الخاص بالفصل الأول، المتفرع من الباب الثاني مثلاً: ثم يكتب الباحث على ظهر المظروف أسماء المراجع التي استخدمها في هذا المظروف حتى لا يكرر ما كتبه مرة ثانية، وإذا كانت المعلومات عن مبحث ما لا يكفيها مظروف واحد، فليستخدم مظروفًا آخر ويكتب عليه رقم ٢ مثلاً وهكذا.. وهذه الطريقة تفيد عند كتابة البحث النهائي فإنه سيجد أمامه أسماء المراجع على ظهر المظاريف، فيستطيع أن يتبين بدقة كيف يبدأ بصياغة الفصل أو المبحث، وقد جربت هذه الطريقة في بعض بحوثي، وكانت نافعة ومفيدة.

(٢) يجب أن تكون الكتابة بخط واضح وجلي، والأشياء التي يشعر الباحث أنها مهمة يكتبها بلون مختلف كما يستحسن كتابة العناوين الجانبية بقلم رصاص، حتى إذا أراد أن يغيرها سهل عليه ذلك.

(٣) أن ينقل الباحث النص كاملاً لأن الباحث قد يحتاج إلى العودة إلى ذلك النص، ولا يلجأ إلى التلخيص إلا إذا كان الكتاب الذي ينقل منه ملكًا له، أو يسهل عليه الرجوع إليه[١].

الطريقة الثانية: الدوسيه

هذه الطريقة تتمثل في إعداد دوسيه مقسم على حسب أبواب وفصول ومباحث الرسالة كما هي خطة البحث، ويخصص الباحث لكل جزء من أجزاء رسالته قسمًا، بلون مختلف عن بقية الأقسام، وهذه الدوسيهات موجودة بألوانها المتعددة وكذا بعض الكراسات الكبيرة فيها مجموعة من

---

(١) انظر منهجية البحث ص (٤٨، ٤٩).

الأوراق كل مجموعة بلون مختلف عن الآخر يستطيع الباحث أن يشتريها، ويحدد أقسام رسالته على كل جزء منها.

ويفضل بعض الباحثين الدوسيه للأسباب التالية:

١- إن المادة توزع في الملف دفعة واحدة، بدلًا من جمعها في بطاقات ثم توزيع البطاقات.

٢- إن الملف (الدوسيه) يحفظ ما به من أوراق أما البطاقات فقد يفقد بعضها.

٣- إن المراجعة أو الزيادة أو التحقق من أمر ما في الملف أسهل من المراجعة في البطاقات.

والواقع أن البعض يستخدم الدوسيه ويعتبره هو الطريقة المُثلى، نظرًا لسهولته بالنسبة له والبعض يستخدم البطاقات، ويعتبرها هي الطريقة الميسرة للبحث أيضًا بالنسبة له.

وقد استخدمت البطاقات في بعض بحوثي واستخدمت الدوسيه في البعض الآخر، وأرى أن البطاقات مهمة في بداية البحث العلمي للطالب، ولكن بعد أن يكون قد اكتسب الخبرة في كتابة البحوث، فمن الممكن أن يكتب في الدوسيه، ومرة أخرى أمر البطاقات أو الدوسيه، متروك للطالب.

ولكن أيًا كانت الطريقة التي يسلكها الطالب في بحثه فإن الكتب التي سوف يقرأها نوعان:

أولاً: كتب خاصة به موجودة في مكتبته أو مكتبة كليته أو كتب موجودة في متناول يده ككتب الزملاء والأقارب ومن في حكمهم.

ثانيًا: كتب موجودة في المكتبات العامة تخضع لمدة الإعارة المحددة أو عدم الإعارة أصلاً وتختلف طريقة جمع المادة العلمية في كل منهما أما كتبه أو التي في حكم كتبه، فعليه أن يمسحها بالنظر إلى فهارسها

وموضوعاتها ليحدد المطلوب، وفي تلك الحالة يستحسن أن يكون عنده كراس صغيرة يسجل فيها الموضوعات بإشارات موجزة مع الإشارة إلى رقم الصفحة والجزء واسم المؤلف، أو يعمد إلى تلك الموضوعات فيضع لسانًا من الورق عليه إشارات عما تحويه هذه الصفحات، وهناك أقلام شمع ملونة يستطيع الباحث أن يظلل بها الموضوعات المشار إليها، إذا كان يملك حق التصرف في الكتاب.

ولابد أن ننبه الباحث بضرورة مراجعة كتبه كلها، والكتب القريبة منه عند زملائه، أو المكتبات التي تقع في نطاق مدينته كمكتبات وزارة الثقافة ووزارة التربية والتعليم، ولا ينتقل إلى مكتبة بعيدة إلا بعد أن يستوثق أن الكتاب المطلوب ليس قريبًا منه، وفي هذا توفير للوقت والجهد والمال.

المرحلة السابعة: كتابة البحث الفعلية:

يقوم الباحث بعد جمع المادة العلمية باختيار وتصفية ما جمعه، وهذه المرحلة تستلزم أن يضع الباحث ما جمعه في البطاقات أو الدوسيه في الفصل أو المبحث المراد كتابته، ويقوم بقراءتها قراءة متأنية واعية وعليه أن يعرف بالضبط ما يريد نقله من تلك النصوص في بحثه وأن يضم الأفكار المتشابهة إلى بعضها بحيث يُبقي منها ويحذف ما يراه مكررًا أو غير مناسب، ويُعنونها بالعنوان المناسب حتى ينتهي من تصنيف وفرز جميع ما نقله في البطاقات أو الدوسيه، وقد ترد خواطر جديدة على الباحث أثناء تصنيف المادة فيسجلها في البطاقات أو الدوسيه التي تدور حوله هذه الخواطر[١].

وإذا بدأ الباحث كتابة بحثه فعليه أن يراعي الآتي:

(١) أن يكتب على سطر ويترك سطرين أو أكثر لسهولة كتابة أفكار أو عبارات أخرى بين هذه الأسطر، وعليه أن يكتب على صحيفة ويترك وجهها

(١) لمحات في المكتبة والبحث والمصادر ص (١١٤-١١٥).

الآخر، فكثيرًا ما يحتاج هذا الوجه من الورقة.

(٢) لابد من ضبط الكتابة من ناحية اللغة والأسلوب وعلامات الترقيم[1]، وعليه إن لم يكن متمكنًا من قواعد اللغة والإملاء أن يستكمل ذلك في نفسه أو أن يعرض ما يكتب على أصحاب الخبرة والاختصاص لتصحيح الأخطاء اللغوية.

(٣) على الباحث أن يلتزم آداب البحث ويبتعد عن الغرور والتعالي وإن أدى بحثه إلى كشف لم يسبق إليه أو إلى نتائج جديدة، لأن الغاية من البحث الوصول إلى الحقيقة وإضافة المزيد من المعارف إلى تراث الإنسانية، وعليه أن يبتعد عن ضمائر التكلم مثل أنا أو نحن، وإنما يستخدم عبارات مثل «**يرى الباحث**» وعند النقد يقول هذا الرأي لا تستريح إليه النفس وهناك عبارات تعبر عن تواضع الباحث وتنم عن أدبه مثل «**ويبدو أن**» و «**يظهر مما سبق**» وبالجملة كل ما من شأنه أن يعبر عن الذات والغرور، فعلى الباحث أن يتحاشاه.

(٤) على الباحث إذا اقتبس نصًا من النصوص أن يضعه بين قوسين للأمانة العلمية وأن يكون هذا النص من مصدر أصيل لا وسيط، فعلى سبيل المثال لا ينقل الباحث نصًا من النصوص من أحد المؤلفين المحدثين هذا النص موجود في كتاب منشور ومتوافر، لأن المؤلف الذي ينقل عنه الباحث النص الأصلي من الممكن أن يخطئ في النقل فينقل هو خطأ عن خطأ، ولو أنه رجع إلى المصدر الأصلي لأغناه عن ذلك، أما إذا لم يستطع العثور على المصدر الأصلي، ففي هذه الحالة يجوز له أن يأخذ عن مصدر وسيط على أن يذكر اسم المؤلف الذي نقل عنه.

(٥) هناك بعض الباحثين تكون أبحاثهم عبارة عن نصوص فقط يربط بينها بحروف وكلمات يقول وهكذا نرى، ويفتح قوسًا، ولذلك، ويفتح قوسًا،

(١) سنتحدث عنها مفصلاً إن شاء الله تعالى.

وقلما يكتب عبارة واحدة من عند نفسه فضلاً عن التحليل والنقد واستخراج الأحكام واستنباط المعاني، ولذلك يجب عليه أن يعلق على النصوص وأن يدلل على النتائج، وأن تظهر شخصيته باستمرار على مدار البحث، فيقدم للنص ويقارن بين النصوص وبعضها، ويعلق عليها وهذا يطلق عليه الروح العلمية في البحث أو شخصية الباحث.

(٦) على الباحث أن يكون بحثه متناسقًا من ناحية المقدمات والنتائج، فعليه أن لا يكتب في نهاية مبحث أو فصل رأيًا سبق أن نقده أو ينقد رأيًا سبق أن دافع عنه لأن هذا يوقع الباحث في الخطأ والتناقض وهذا مما يعيب الرسالة منهجيًا، بل من الممكن أن يؤدي إلى هدمها.

الترقيم وعلاماته:

على الباحث أن يهتم جدًا بعلامات الترقيم ووضع الفواصل والنقط لأن هذه العلامات تدل على فهم الباحث للكلام الذي يكتبه والعبارات التي يصوغها.

والترقيم لم يكن معروفًا من قبل، ولكن أدخله «أحمد زكي» باشا (الملقب بشيخ العروبة) فقد كانت له جولة في الميادين البكر، هي إدخال علامات الترقيم على الكتابة العربية وفق النسق المستعمل في كتابة اللغات الأوروبية، وكان القارئ قبل استعمال هذه العلامات يعتمد دائمًا في حركات القراءة والوقوف على الذهن والقريحة، وليس أمامه إشارات، أو علامات ترشده إلى ذلك.

ومن أجل هذا فكر «أحمد زكي» في إدخال هذه العلامات، وقد فصّل ذلك في رسالة أصدرها عام ١٩١٢ جاء فيها:

وأول من اهتدى إلى ذلك رجل من علماء النحو، من روم القسطنطينية اسمه (أرسطوفان) من أهل القرن الثاني قبل الميلاد، ثم توفرت أمم الإفرنج

من بعده على تحسين هذا الاصطلاح، وإتقانه إلى الغاية التي وصلوا إليها في عهدنا الحاضر.

وأشار إلى أن اللسان العربي مهما بلغت درجته من العلم لا يتسنى له في أكثر الأحيان أن يتعرف مواقع فصل الجمل، وتقسيم العبارات أو الوقوف على المواضع التي يحسن السكوت عندها، ورأى أن الوقت قد حان لإدخال هذا النظام في كتابتنا الحالية، مطبوعة أو مخطوطة، تسهيلاً لتناول العلوم، فبدأ «أحمد زكي» بمراجعة الكتب العربية التي وضعها النابغون من السلف الصالح في الوقوف والامتداد، ورجع إلى ما تواضع عليه الإفرنج في هذا المعنى، وما كتبه العلامة (ده ساسي) فوجد أن الطريقة العربية القديمة التي أشار إليها «السرنجاوي» و «الشاطبي» لا تختلف عن الطريقة العربية الحديثة إلا في جزئيات طفيفة. واصطلح على تسمية هذا العمل بالترقيم، لأن هذه الكلمة تدل على العلامات، والإشارات، والنقوش التي توضع في الكتابة، وفي تطريز المنسوجات.

وعلامات الترقيم هي:

أشهر علامات الترقيم:

١- الفصلة (،).

٢- الفصلة المنقوطة (؛).

٣- الوقفة (.).

٤- علامة الاستفهام (؟).

٥- علامة الانفعال (التأثر) (!).

٦- النقطتان (:).

٧- الشرطة أو الوصلة (-).

٨- التضبيب (التنصيص) (" ").

٩- القوسان ﴿ ( ) ﴾ .

١٠- علامة الحذف والإضمار (.....).

وهذه العلامات (، ؛ . : ؟ !) لا توضع في أول الكلام، وهذا يعني أنها لا توضع في أول السطر.

موضع استعمال علامات الترقيم

أولاً: الفاصلة (،):

والغرض منها أن يسكت القارئ عندها سكتة خفيفة، ليميز بعض أجزاء الكلام عن بعضه، وتوضع فيما يأتي:

١- بين الجمل التي يتركب من مجموعها كلام تام، مثل: إن محمدًا طالب نبيل: لا يؤذي أحدًا، ولا يكذب في كلامه، ولا يقصر في درسه.

٢- بين الكلمات المفردة المتصلة بكلمات أخرى تجعلها شبيهة بالجملة في طولها، مثل: ما خاف عامل صادق، ولا تلميذ عامل بنصائح والديه ومعلميه، ولا صانع مجيد لصناعته، غير مخلف لمواعيده.

٣- بين أنواع الشيء وأقسامه، مثل: فصول السنة أربعة: الربيع، والصيف، والخريف، والشتاء.

٤- بعد لفظ المنادي: مثل: يا علي، أحضر الكتاب.

ثانيًا: الفصلة المنقوطة (؛):

والغرض منها أن يقف القارئ عندها وقفة متوسطة، وأكثر استعمالها في الآتي:

١- بين الجمل الطويلة التي يتركب من مجموعها كلام مفيد، وذلك لإمكان التنفس بين الجمل عند قراءتها، ومنع خلط بعضها ببعض بسبب

تباعدها، مثل، إن الناس لا ينظرون إلى الزمن الذي عمل فيه العلم؛ وإنما ينظرون إلى مقدار جودته وإتقانه.

٢- بين جملتين تكون الثانية منهما سببًا في الأولى، مثل: نال على الجائزة؛ لأنه نجح بتفوق.

٣- أو تكون مسببة عن الأولى، مثل: محمد حسني مبارك مخلص لوطنه؛ فلا غرابة أن يختاره الشعب رئيسًا لجمهورية مصر العربية.

ثالثًا: الوقفة أو النقطة (.):

وتوضع في نهاية الجملة التامة المستوفية كل مكملاتها، مثل: في التأني السلامة، وفي العجلة الندامة. ومثل: خير الكلام ما قل ودل، ولم يطل فيمل.

رابعًا: علامة الاستفهام (؟):

وتوضع في نهاية الجملة المستفهم بها عن شئ، مثل: فيم كنت؟ أين تذهب؟ لم تتعلم؟

خامسًا: علامة الانفعال (التأثر:!):

توضع في آخر الجملة التي يعبر بها عن الانفعالات النفسية كفرح، أو حزن، أو تعجب، أو استغاثة، أو دعاء، مثل: يا بشرى!. نجحت في الامتحان!. وا أسفاه!. ما أجمل هذا البستان!. النار!. أغيثونا!. ويل للظالم!. مات فلان! رحمه الله!

سادسًا: النقطتان (:):

النقطتان تستعملان لتوضيح ما بعدهما، وتمييزه عما قبله، وذلك يكون في الآتي:

بين القول والمقول، أو ما يشبهها في المعنى، مثل: قال حكيم: العلم زين، والجهل شين. ومثل: ومن نصائح أبي لي كل يوم: لا تؤخر عمل يومك إلى

غدك، وبين الشيء وأقسامه، أو أنواعه، مثل: أصابع اليد خمس: الإبهام، والسبابة، والوسطى...

ومثل: اثنان لا يشبعان: طالب علم، وطالب مال.

وقبل الأمثلة التي توضح قاعدة وقبل الكلام الذي يوضح ما قبله مثل: بعض الحيوان يأكل اللحم: كالأسد، والنمر، والذئب، وبعضه يأكل النبات: كالفيل، والبقر، والغنم، ومثل: أجزاء الكلام العربي ثلاثة: اسم، وفعل، وحرف.

سابعًا: الشرطة أو الوصلة (-):

وتوضع بين ركني الجملة إذا طال الركن الأول، لأجل تسهيل فهمهما مثل: إن الطالب الذي يدأب على المذاكرة، ولا يضيع وقته سدى -ينجح بتفوق. وبين العدد والمعدود إذا وقعا عنوانًا في أول السطر، مثل: التبكير في النوم. واليقظة يكسب:

أولاً: صحة البدن.

ثانيًا: وفرة المال.

ثالثًا: سلامة العقل.

ثامنًا: التضبيب (التنصيص) (" "):

ويوضع بين قوسيهما المزدوجين كل كلام ينقل بنصه، وحروفه، مثل قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر :١] وقوله ﷺ: (اليد العليا خير من اليد السفلى).

تاسعًا: القوسان لخ ( ) لج :

ويوضع بينهما الألفاظ التي ليست من أركان هذا الكلام، كالجمل المعترضة، وألفاظ الاحتراس، والتفسير، مثل: القاهرة (حرسها الله) عاصمة لجمهورية مصر العربية، ومثل:

إن كان لي ذنب (ولا ذنب لي) فما له غيرك من غافر

ومثل: حُلوان (بضم فسكون) مدينة جنوبي القاهرة، طيبة الهواء.

عاشرًا: علامة الحذف: (....) الخ

وتوضع مكان الكلام المحذوف، للاقتصار على المهم منه، أو لاستقباح ذكره، مثل: أحببتك يا صديقي؛ لأدبك وعملك .....

ومثل: جبل المقطم أشهر جبال مصر.. بنى عليه صلاح الدين الأيوبي قلعته المشهورة.

ومثل: السد العالي يفيد البلاد في اتساع رقعة الأرض المنزرعة... وانتشار الصناعة... وكثرة الإنتاج الذي يجعل مصر ترفع رأسها بين الأمم... ولا تحتاج إلى غيرها، بل غيرها يحتاج إليها في كل ما تنتج: من سماد، وغلات زراعية ... وخير عميم.

تنبيه:

لا يوضع من هذه العلامات في أول السطر إلا القوسان، وعلامة التنصيص. وقد سبق ما يفيد ذلك[١].

الحاشية أو الهامش:

الحاشية من أهم أجزاء البحث لأن منها **«نعرف أهمية المستندات ومقدار الثقة بالمحتوى وهي اليوم جزء لا يتجزأ من البحوث الحديثة»**[٢].

وتتضمن الحاشية كما يأتي:

أ- أسماء المصادر والمراجع التي اقتبس منها الباحث أو أحال إليها.

---

(١) أخذنا هذه المعلومات عن علامات الترقيم من كتاب المختار في قواعد الإملاء وعلامات الترقيم المقرر على المعاهد الأزهرية من ص (٥٠-٥٦) قطاع المعاهد الأزهرية طبعة ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

(٢) انظر منهجية البحث ص (٦٥).

ب- الترجمة للأعلام. والأحداث والنزعات الفكرية والاجتماعية.

ج- الأمور الثانوية التي تؤدي إلى الاستطراد.

د- الشواهد التي تأتي في الدرجة الثانية[١].

كيفية كتابة الحاشية:

هناك طرق متعددة يتبعها الباحثون في كتابة بحوثهم العلمية، فمن الباحثين من يكتب المصادر في نهاية الفصل ومنهم من يكتبها في نهاية الصفحة، ولابد من ذكر اسم المؤلف وعنوان الكتاب أو المقال أو الرسالة، ثم الجزء إذا كان الكتاب مؤلفًا من أجزاء، ثم رقم الصفحة التي ورد فيها النص المنقول، وكذا اسم المحقق والناشر، وسنة النشر والطبعة ورقمها أول مرة يذكر فيها المصدر، فإذا أخذ نصًا بعد ذلك يكتفي بذكر المرجع فقط على أساس أنه سبق وكتب معلومات قبل ذلك عنه.

وتكتب الأرقام في متن البحث بين قوسين صغيرين وتدون أعلى من السطر بقليل، وبعد الشواهد والاقتباسات لا قبلها، على أن يكتب الباحث ما يقابلها في ذيل الصفحة مع الحواشي التي يريدها، وقد اصطلح علماء البحث العلمي على أنظمة للترقيم منها:

١- ترقيم الإحالات ترقيمًا متسلسلاً ١، ٢، ٣، ٤ ثم إيراد الحواشي في آخر البحث.

٢- ترقيم الإحالات ترقيمًا متسلسلاً ضمن الفصل الواحد، وجعل الحواشي في نهاية الفصل.

٣- جعل أرقام كل صفحة مستقلة عن أرقام الصفحة السابقة، فيبدأ بترقيم جديد (ابتداءً من الرقم "١") عند الابتداء بصفحة جديدة.

٤- جعل الأرقام متسلسلة ضمن الفصل الواحد على أن تثبت في كل

---

(١) نفسه ص (٦٦).

صفحة حواشيها.

وأفضل طريقة في نظرنا هي جعل أرقام كل صفحة مستقلة عن أرقام الصفحة السابقة، أي تستقل كل صفحة بمصادرها، وهوامشها ... وهذا ما ينصح به الباحث خاصة في الرسائل العلمية.

وإذا تكرر المصدر أو المرجع في الصفحة نفسها فيستخدم مصطلح (المصدر نفسه) أو اختصارًا "م. ن".

أما إذا تكرر في صفحتين متتاليتين دون أن يفصل بينهما كتاب آخر فيستخدم المصطلح (مصدر سابق) أو "م.س".

وإذا كان النص أو المعلومات كثيرة في الهامش بحيث إن هامش الصفحة لا يتسع له أو لها، توضع علامة التساوي (=) في آخر السطر الأخير من الهامش - ونكرره في أول السطر الأول من هامش الصفحة التالية ثم يكمل النص[١].

بين المقدمة والخاتمة:

بعد الانتهاء من عرض الموضوع عرضًا علميًا وتدوينه يكتب الباحث خاتمة له، يراعي فيها الإيجاز فيذكر أهم النتائج والتوصيات التي خرج بها من بحثه، أما مقدمة البحث فعلى الرغم من أنها في بداية البحث إلا أن الأصل فيها أن تكتب آخر شيء في البحث بعد تمامه وكماله، وفيها يبين الأسباب التي دفعته لاختيار الموضوع ومشاكل البحث، والصعوبات التي قابلها، ويبين منهجه في البحث، ويوجه الشكر إلى الأستاذ المشرف، ولكل من قدم له عونًا في رسالته، وقيمة المقدمة أنها تعطي فكرة شاملة عن موضوعه للقارئ[٢].

---

(١) المرجع السابق ص (٦٩-٧٠) بتصرف.

(٢) انظر لمحات في المكتبة والبحث والمصادر ص (١١٧).

المرحلة الثامنة: فهارس البحث:

تعد الفهارس هي الكشاف لما في داخل البحث من مصادر ومراجع أو موضوعات، أو أعلام أو مصطلحات أو آيات قرآنية أو أحاديث نبوية أو أشعار أو أماكن أو فرق.

وللأسف الشديد فإن كثيرًا من الرسائل العلمية تخلو من الكشاف المثبت في نهاية البحث، ومعظم الرسائل تكتفي بفهرس الموضوعات فحسب. ولذلك من كمال البحوث العلمية إثبات الفهارس المفصلة في نهاية البحث.

أولاً: فهرس المصادر والمراجع:

بينا الفرق بين المصدر والمرجع فيما سبق، والآن نتحدث عن ترتيب المصادر والمراجع التي استخدمها أو أحال إليها الباحث في بحثه.

بعض الباحثين يضع قائمة واحدة للمصادر والمراجع، والبعض الآخر يفصل بين المصادر والمراجع، أما الترتيب، فله طريقتان[١] مشهورتان.

١- **الطريقة الأولى:** حسب الحروف الهجائية الأولى لأسماء المؤلفين، وترتب الأسماء حسب شهرة المؤلف سواء كان اسمه أو اسم عائلته، ثم توضع كتبه إن كانت أكثر من كتاب، هكذا:

الغزالي

- الإمام أبي حامد الغزالي

إحياء علوم الدين

تهافت الفلاسفة - ثم إثبات بقية كتبه التي استخدمت في البحث، ثم اسم المحقق إن وُجد ثم مكان النشر، ثم دار النشر، ثم رقم الطبعة، ثم تاريخ النشر.

---

(١) منهجية البحث ص (٨٤-٨٥).

٢- الطريقة الثانية: حسب الحروف الهجائية لأسماء المصادر والمراجع، فتكتب مثلاً: التفسير والمفسرون، ومعلومات كاملة عن الكتاب ثم تحت الكتاب اسم مؤلفه وتاريخ وفاته.

والطريقة الأولى هي الطريقة المثلى المتبعة في الرسائل العلمية، وهي الأيسر في الوقت ذاته.

وتيسيرًا على الباحثين ينصح باستخدام كراسة، يكتب في كل صفحة حرف من حروف الهجاء ثم يقوم الباحث باستعراض المصادر والمراجع وكلما وجد اسم مؤلف وضعه في صفحة الحرف الخاص به، ثم في النهاية يرتب أسماء المؤلفين كل تحت حرفه، ترتيبًا أبجديًا، فعلى سبيل المثال عنده أسماء مؤلفين: أحمد- إبراهيم- إسماعيل، الكل في حرف الهمزة، ولكن في الوقت نفسه يقدم إبراهيم-ثم أحمد-ثم إسماعيل وهكذا.

وهناك بعض الطرق الأخرى وفيها يعمد الباحث إلى ترتيب مصادره حسب العلوم والفنون. فيكتب مثلا: كتب التفسير، كتب الحديث، كتب اللغة، ويرتبها إما على أسماء المؤلفين هجائيًا أو أسماء الكتب هجائيًا، ومشكلة هذه الطريقة أن هناك بعض الكتب يحتوي على أكثر من فن خاصة الكتب القديمة، ففي أي العلوم والفنون يضعها، وخروجًا من هذا، تختار إحدى الطريقتين المشهورتين، إما الترتيب حسب الحروف الهجائية للمؤلفين أو الكتب.

ويبدأ الباحث بالقرآن الكريم ثم كتب الأحاديث النبوية، ثم المطبوعات ثم المخطوطات، ثم الرسائل العلمية، ثم المراجع الأجنبية، ثم الحوليات والمجلات والدوريات.

ثانيًا: فهرس الأعلام:

الأعلام التي وردت في البحث من الأفضل أن يترجم لها الباحث، وبعض

الباحثين يقسم فهرس الأعلام إلى أسماء الأشخاص أو القبائل أو الأماكن أو الحيوانات، والأولى الاقتصار على الأشخاص، والقبائل، والأماكن. والطريقة الشهيرة في ترتيب الأعلام هي على حسب الحروف الهجائية حسب شهرة المؤلف، سواء كانت عائلته أو اسمه، ويوضع أمام كل علم أرقام الصفحات التي ورد فيها العلم، بالطبع لابد أن يكون الباحث قد ترجم في الهامش للعلم الذي يحيل إليه.

ثالثًا: فهرس الآيات القرآنية:

هذا الفهرس ضروري جدًا في البحوث الدينية والبحوث التي لها تعلق بالقرآن الكريم، أما ترتيب الآيات فيتم حسب ورودها في البحث، الآية ورقمها، السورة، ثم الصفحة التي وردت فيها هذه الآية، ويستطيع الباحث أن يرجع إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمعرفة اسم السورة ورقم الآية.

رابعًا: فهرس الأحاديث النبوية:

في هذا الفهرس يتم الإشارة إلى الحديث النبوي الوارد في البحث مع الإحالة إلى الصفحة والكتاب الذي خرجه، مثلاً البخاري - مسلم - الترمذي وهكذا.

خامسًا: فهرس المصطلحات:

في هذا الفهرس ترتب المصطلحات ترتيبًا ألفبائيًا ثم يذكر مقابل كل مصطلح أرقام صفحات البحث التي ورد فيها بالترتيب، وبعض الباحثين يلجأ إلى تعريف المصطلح وشرح المقصود منه قبل وضع أرقام الصفحات، وهذا يعطي البحث قيمة علمية، وفائدة هذا الفهرس أنه يريح الباحث أثناء جمع المادة العلمية، لتتبع مصطلحًا من المصطلحات في كتاب له أكثر من جزء.

وقد استفدت كثيرًا من هذه الفهارس، عند جمع المادة العلمية لأطروحة

الدكتوراة وكانت تحت عنوان «**موقف القرآن الكريم من الفكر المادي**»[1] وكان لزامًا أن أبحث بعض المصطلحات المتعلقة بالبحث مثل «**الدهرية، المادية، الإلحاد**» وعلى سبيل المثال استفدت من الفهارس الملحقة بكتاب «**درء تعارض العقل مع النقل**» تحقيق الدكتور «**محمد رشاد سالم**» نشر عمادة المكتبات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مثلاً: مصطلح الدهرية، تتبعته – كتاب «**تعارض العقل مع النقل**» من خلال فهرس المصطلحات، يقول مثلاً: «**الدهرية**» ج١ ص٥، ٦، ٧، ٥٠، ٢٠٥ – وهكذا. وهذا يوفر الوقت والجهد، جزى الله خيرًا للمؤلف والمحقق والقائمين على النشر على هذا التيسير الذي قدموه للباحثين.

سادسًا: فهرس الموضوعات أو الفهرس العام:

وهذا الفهرس يتضمن أبواب البحث وفصوله وفقراته مع ذكر الصفحات ويوضع في نهاية البحث أو في بدايته، والأفضل أن يكون مفصلاً قدر الإمكان، بحيث يشمل كل العناوين الواردة في البحث، ولكي يسهل على القارئ الرجوع إلى أي موضوع من موضوعات البحث.

سابعًا: طباعة البحث وإخراجه:

وهذه المرحلة هي الصورة النهائية التي سيظهر عليها البحث للناس، فعلى الباحث أن يختار كاتبًا، معروفًا بالدقة في الكتابة، وعلى الباحث أن يراجع بنفسه وأن يقرأ مع زملائه وأصدقائه بحثه من أجل المراجعة ولا ضير على الإطلاق أن يستعين الباحث بزملائه في تخصص اللغة العربية من أجل

---

(١) بفضل الله أجيزت تحت إشراف أستاذنا الدكتور عبد الله الشاذلي رئيس قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بطنطا ومناقشة الأستاذ الدكتور: عبد العزيز عبيد العميد الأسبق لكلية أصول الدين بالقاهرة أعليه رحمة الله– والأستاذ الدكتور محيي الدين الصافي رئيس قسم العقيدة والفلسفة وعميد كلية أصول الدين بالقاهرة سابقًا أمد الله في عمره، وقد حصلت عليها بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى في يوم الأحد ١٩٩٠/٨/٥.

المراجعة، لكي يخلو البحث من الأخطاء المطبعية واللغوية حتى لا تكثر المؤاخذات على الباحث وقد يؤدي ذلك إلى الحصول على تقدير متواضع، وهذا من الناحية المعنوية والوظيفية قد تكون له آثار سلبية على الباحث، خصوصًا أن المناقشة تكون علنية، ويحضرها الأهل والأصدقاء .

* * *

المبحث السابع

تحقيق المخطوطات

من البحوث العلمية التي تقدم في مرحلة الدراسات العليا لنيل درجة التخصص (الماجستير) والعالمية (الدكتوراه) تحقيق المخطوطات، وبعض الجامعات لا تتوسع كثيرًا في التسجيل لدرجتي الماجستير أو الدكتوراه في التحقيق والبعض يحدد نسبة التسجيل في الموضوعات بـ ٧٥٪ والتحقيق ٢٥٪ والبعض يسمح بالتحقيق في **«الماجستير»** ولا يسمح به في **«الدكتوراه»**.

وسوف نتكلم بكلمة موجزة عن التحقيق، تعريفه، وشروط المحقق والصفات الواجب توافرها في المخطوطة المحققة..

معنى التحقيق:

أ- **في اللغة:** ورد في مختار الصحاح «حقق» قوله وظنه **«تحقيقًا»** أي صدقه وكلام محقق أي رصين، والحقيقة ضد المجاز[١] :

الحقيقة هي الشيء الثابت قطعًا ويقينًا يقال حق الشيء إذا ثبت[٢] :

فكل معانيه تدور حول التصديق والتصحيح والإحكام والثبات.

ب- في الاصطلاح: «هو بذل عناية خاصة بالمخطوطات حتى يمكن التثبت من استيفاءها لشرائط معينة».

والكتاب المحقق هو الذي صح عنوانه واسم مؤلفه، ونسبة الكتاب إليه وكان متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه[٣].

---

(١) مختار الصحاح ص (١٤١).

(٢) التعريفات للجرجاني ص (٨٠).

(٣) مذكرة البحث ومصادره ص (٢٧).

أما الغاية من التحقيق فتتمثل في تقديم المخطوط صحيحًا كما وضعه مؤلفه دون شرحه[١].

وهناك طرق مختلفة للتحقيق:

١- **الطريقة الأولى:** يهتم أصحابها بالهوامش والزيادات والشروح التي توضح النص الأصلي للمخطوطة.

٢- **الطريقة الثانية:** يهتم أصحابها بالنص المراد إخراجه فقط مع ذكر الاختلافات بين النسخ.

٣- **الطريقة الثالثة:** وهي وسط بين الطريقتين وتعني بإخراج النص كما تركه صاحبه مع خدمة النص بشرح الألفاظ الغريبة، ثم بالقيام بعمل فهارس فنية لمحتوى المخطوطة.

الشروط الواجب توافرها فيمن يقوم بالتحقيق:

١- أن يكون عالمًا باللغة العربية، ألفاظًا وأساليب.

٢- أن يكون على علم بأنواع الخطوط العربية وأطوارها التاريخية.

٣- أن يكون على دراية كافية بعلم المكتبات والفهارس.

٤- أن يكون عارفًا بقواعد تحقيق المخطوطات وأصول نشر الكتب.

٥- أن يكون متخصصًا في موضوع المخطوط[٢].

خطوات تحقيق المخطوطات:

إذا أراد الباحث أن يحقق مخطوطًا فعليه بالآتي:

أولاً: جمع نسخ المخطوطة:

لابد أولاً من البحث عن نسخ المخطوطة في مكتبات العالم المختلفة

(١) قواعد تحقيق المخطوطات ص (١٥) د/ صلاح الدين المنجد.

(٢) انظر البحث العلمي ومناهجه النظرية ص (٣٤).

ويستطيع الباحث أن يعرف أسماء المخطوطات وأماكن وجودها بالرجوع إلى الكتب التالية على سبيل المثال:

١- تاريخ التراث العربي. لفؤاد سزكين.

٢- تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان.

٣- كتاب رمضان شنن (نوادر المخطوطات العربية) في مكتبات تركيا صدر في ثلاثة مجلدات واستدرك فيه ما فات (بروكلمان) و (سزكين).

بعد الجمع والتصوير لنسخ المخطوطة تنتقل إلى:

المرحلة الثانية: ترتيب النسخ:

ترتب نسخ المخطوطة على هذا النحو:

١- أحسن نسخة يعتمد عليها المحقق النسخة التي كتبها المؤلف بنفسه، وهذه يطلق عليها النسخة (الأم).

٢- عند العثور على نسخة المؤلف يجب أن نبحث إذا كان المؤلف ألف كتابه على مراحل أو دفعة واحدة، للتأكد من أن النسخة التي بين أيدينا هي آخر صورة كتب المؤلف بها كتابه.

٣- بعد نسخة المصنف تأتي نسخة قرأها المصنف أو قرأت عليه، وأثبت بخطه أنها قرأت عليه.

٤- ثم نسخة نقلت عن نسخة المصنف أو عُورضت بها وقوبلت عليها.

٥- ثم نسخة كُتبت في عصر المصنف عليها سماعات على العلماء.

٦- ثم نسخة كُتبت في عصر المصنف ليس عليها سماعات.

٧- نسخ أخرى كُتبت بعد عصر المؤلف، وفي هذه النسخ يفضل الأقدم على المتأخر والتي كتبها عالم أو قرأت على عالم.

وهناك بعض الحالات نجد فيها نسخًا متأخرة صحيحة مضبوطة، تفضل

نسخة أقدم منها فيها تصحيف أو تحريف.

أو نسخة متأخرة جدًا نُسخت نسخًا جيدًا عن نسخة المصنف رأساً أو عن نسخة من عصر المؤلف أو غير ذلك من الحالات الخاصة، فليكن هدف المحقق في جمع النسخ إذا لم نحصل على نسخة المصنف الحصول على أقرب شكل بعيد عن التحريف والتصحيف لنسخة المؤلف.

٨- أحيانًا يعثر المحقق على مخطوطة ليس عليها تاريخ النسخ أو أي إشارة تدل على تاريخ كتابتها، فماذا يفعل المحقق الباحث؟[١]

يستطيع الباحث أن يحدد تاريخ النسخة بواسطة الخط الذي كتبت فيه، وكذا بنوع الورق ونوع المداد، ومن ثم وجب أن يكون المحقق على دراية بالخطوط العربية.

٩- لا يجوز نشر كتاب عن نسخة واحدة إذا كان له نسخ أخرى معروفة لئلا يعوز الكتاب إذا نشر التحقيق العلمي والضبط[٢].

المرحلة الثالثة: تقسيم المخطوطات إلى فئات:

هناك الكثير من النسخ تتشابه فيما بينها في الهوامش أو الزيادة أو النقص وهذه كلها يعتقد أنها نقلت من أصل واحد.

وهنا نقسم النسخ المتشابهة إلى فئات يرمز إلى كل فئة بحرف (الفئة أ والفئة ب، والفئة ج) ويتخذ من كل فئة نسخة واحدة تمثلها عند إثبات

---

(١) استفدت كثيرًا من المعلومات التي قدمها لي خبراء ترميم المخطوطات بمركز الملك فيصل بالرياض فقد كان لي شرف اصطحاب طلاب الدراسات العليا بكلية أصول الدين بالرياض، قسم القرآن وعلومه، والسنة وعلومها، حيث كنت أدرس لهم مادة البحث والمصادر في السنة المنهجية بمرحلة الدراسات العليا، وكان هؤلاء الخبراء يشرحون لنا بالتفصيل مشاكل المخطوطات من الناحية الفنية، كما كان لهم - جزاهم الله كل خير هم والقائمين على المركز - جلب المخطوطات من جميع أنحاء العالم.

(٢) قواعد تحقيق المخطوطات ص (١٢-١٣).

اختلافات النسخ[1].

أما النسخ بوجه عام فيرمز إليها بحرف يؤخذ من اسم صاحبها أو من اسم المكتبة التي وجدت فيها أو من اسم البلد الذي فيه المكتبة.

رابعًا: غاية التحقيق ومنهجه:

يقتضي عمل التحقيق ما يلي:

١- التحقق من صحة الكتاب، واسمه ونسبته إلى مؤلفه.

٢- النسخة (الأم) التي كتبت بيد المؤلف فتثبت كما هي.

٣- النصوص التي كتبها المؤلف، تعارض على أصولها، وتثبت الزيادة أو النقص في الهامش.

٤- في بعض الأحيان لا يذكر المؤلف المصادر التي أخذ منها، فعلى المحقق أن يرد النص إلى مصدره ويشير إلى ذلك في الحاشية.

٥- إذا أخطأ المؤلف في لفظ أو اسم يصحح المحقق هذا الخطأ ويشير إلى ذلك في الهامش.

٦- تقابل النسخة (الأم) مع النسخة الأخرى ويشار في الحاشية إلى اختلاف النسخ في كل لفظة إذا كان الاختلاف يبدل المعنى.

٧- يجوز للمحقق إضافة حرف أو كلمة سقطت من المتن على أن يضع ذلك بين قوسين.

٨- إذا وُجد في المخطوطة «خرم» أضاع نصًا ما، وكان هذا النص في كتاب آخر مطبوع أو مخطوط فيمكن إتمام الخرم والإشارة إلى ذلك في الحاشية ويوضع المضاف بين قوسين أما إذا لم يجد المحقق ما خرم أو ترك بياضًا في مصدر آخر فيشير إلى مقدار الخرم أو البياض في الحاشية.

---

(١) نفسه ص (١٣).

٩- الحروف العربية في الأصل غير منقوطة في الكتابة العربية، فقد كان يحدث التباس في قراءتها، ومنعًا للتصحيف والتحريف جرى النسّاخ والعلماء الأقدمون من القرن الثالث حتى السادس الهجري، أن يضعوا بعض إشارات على الحروف لئلا يقع التباس فيها.

فمثلاً كانوا يضعون حرف حاء صغيرة فوق حرف الحاء في الكلمة لئلا يقرأ خاء. وكانوا يضعون عينًا صغيرة تحت حرف العين لئلا يقرأ غينًا.

وكذلك يفعلون في حرف الصاد، والطاء، والدال، والراء.

وفي بعض الأحيان يضعون ثلاث نقاط تحت حرف السين لئلا تقرأ شينًا لأن نقاط الشين من فوق.

١٠- من ناحية الرسم الأصل أن يثبت المحقق النص كما رسمه مؤلفه، إذا كانت النسخة بخط المؤلف إلا أن الخط العربي قد تطور على مر العصور فلابد إذن من أن نجعل النص يُرسم بالرسم الذي نعرفه، وقد أجاز الأقدمون أنفسهم ذلك، فقد نصادف نصوصًا قديمة ألفاظها مهملة غير منقوطة فلا يمكن نشرها اليوم بلا نقط، وقد نصادف نصوصًا لا شكل فيها من همز أو ضم أو فتح أو كسر أو تشديد أو جزم فيؤدي إثباتها كما وردت إلى بعض الالتباس.

خامسًا: الألفاظ المختصرة:

كثيرًا ما ترد بعض الألفاظ والجمل التي تعاد كثيرًا، كمثل الصلاة على النبي، والترحم بعد ذكر المتوفى، والترضي عن الصحابة، وألفاظ التحديث والأخبار، والإنباء في إسناد الأحاديث، وقد جرى الأقدمون على اختصار بعض الألفاظ، كما جروا على اختصار أسماء بعض الكتب والرمز إليها بحرف أو حرفين، مثال:

رحمه الله ـ رحه

تعالى ـ تع

رضي الله عنه ـ رضه

إلى آخره ـ الخ

انتهى ـ ا . هـ

حدثنا ـ ثنا

أخبرنا ___ انا

أنبأنا ـ أنبا

البخاري ـ خ

مسلم ـ م

الترمذي ـ ت

أبو داود ـ د

النسائي ـ ن

فلابد للمحقق من معرفة هذه الرموز حتى لا يحدث نوع من الارتباك فيظنها شيئًا آخر غير كونها رموزًا[1].

سادسًا: تقسيم النص وترقيمه:

١- يحافظ على تقسيم المؤلف وترتيبه.

٢- في النصوص التي لا تقسيم لها في الأصل يمكن تقسيمها إلى فصول لإيضاح النص إذا احتيج إلى ذلك، ويعطي لكل فصل عنوان، ويوضع بين قوسين.

٣- إذا كان النص مقسمًا فترقم الأبواب وأيضًا ترقم الأحاديث في كتب

(١) انظر في هذا قواعد تحقيق المخطوطات ص (٢١-٢٢).

الحديث بدقة.

سابعًا: الأقواس والخطوط والرموز:

١- " " الفاصلات المزدوجة تحصر أسماء الكتب إذا وردت في النص.

٢- - - الخطان القصيران يحصران الجمل المعترضة.

٣- | | الخطان العموديان يحصران كل زيادة تضاف من نسخة ثانية غير النسخة المعتمدة.

٤- ﴿ ﴾ القوسان المكسوران يحصران ما يضيفه الناشر من عنده كحرف أو لفظ يقتضيه السياق.

ثامنًا: الحواشي:

تعد الحواشي في التحقيق عملاً نقديًا ولذلك يعتبره بعض الباحثين عملاً علميًا خاصًا يتطلب مهارة وعلمًا.

وهناك بعض الطرق يسلكها المحققون. منها:

١- فريق يجعل في الحواشي اختلاف النسخ، ويفرد للتعليقات ملاحق في آخر الكتاب.

٢- فريق ثان يجعل فيها اختلاف النسخ ثم التعليقات يفصل بينهما خط.

٣- فريق ثالث يخلط بينهما.

٤- فريق رابع لا يثبت إلا النص ويجعل اختلاف الروايات مع التعليقات في آخر الكتاب.

تاسعًا: الفهارس:

تأتي أهمية الفهارس في الكتاب المحقق أنها تيسر الاستفادة مما في الكتاب المنشور وجعل ما في داخله في متناول كل باحث، وأهم الفهارس هي:

١- فهرس الأعلام من الرجال والنساء والقبائل.

٢- فهرس الأماكن والبلدان.

٣- فهرس الكتب الواردة في النص.

عاشرًا: المقدمة والدراسة:

بعد أن ينتهي المحقق من تحقيق المخطوطة يجب أن يكتب مقدمة تتضمن ما يأتي:

١- موضوع الكتاب وما أُلف فيه قبله.

٢- الكتاب نفسه وأهميته بين الكتب التي أُلفت في موضوعه وما يقدمه من جديد للقارئ وكذلك قيمة مؤلفه العلمية وترجمته.

٣- وصف المخطوطة التي اعتمد عليها في النشر، وإثبات بعض الصور لها في البداية والنهاية ويراعي في وصف المخطوطة الآتي:

أ- ما أثبت على الورقة الأولى من اسم الكتاب واسم مؤلفه والتحقق من صحة اسم الكتاب ونسبته إلى المؤلف.

ب- تاريخ النسخ واسم الناسخ ونوع الخط الذي كتب به المخطوطة.

ج- إذا كان الكتاب بدون اسم فيحاول معرفة ذلك من خلال الموضوع والأسلوب والكتب الأخرى وإذا لم يكن على الكتاب تاريخ نسخ فيُقدر عمر المخطوطة بالخط والورق والمداد.

د- عدد ورقات المخطوط وقياسها، وعدد السطور في الورقة وطول كل سطر وما فيها من هوامش.

هـ- التملكات أي من ذكر اسمه من العلماء أو غيرهم الذين تملكوا المخطوطة.

و- إذا كانت النسخ التي اعتمد عليها المحقق عديدة فتثبت أوصافها.

ز- التعقيبات أي الكلمات التي تثبت في آخر كل صفحة لتدل على أول كلمة من الصفحة القادمة وهي تدل على تتابع النص.

ح- الإجازات (المناولات، إجازات الإقراء، إجازات السماع) ينوه بها في المقدمة ويثبت نصها في آخر الكتاب.

وأخيرًا المراجع التي رجع إليها المحقق في تحقيقه للكتاب.

* * *

القسم الثاني
آداب الجدل والمناظرة

المبحث الأول

الجدل وضوابطه

تعريفه:

ورد في المعجم الوسيط في تعريف كلمة الجدل أنه «**طريقة في المناقشة والاستدلال**»[١].

ومن معانيه في اللغة:

١- المناقشة على سبيل المخاصمة، ومقابلة الحجة بالحجة.

٢- شدة الخصومة والقدرة عليها[٢].

وفي الاصطلاح: معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم[٣].

ونلاحظ أن ابن خلدون -يطلق الجدل على المناظرة- ولا يجعله خاصًا بطائفة دون غيرهم فكل مناظرة ومجادلة بين جماعة وجماعة أو بين فرد وآخر فهي من قبيل المناقشة والمجادلة والمناظرة.

ويعرف بأنه: علم يقتدر به على حفظ أي وضع يراد به ولو باطلاً وهدم أي وضع يراد ولو حقًا[٤].

---

(١) المعجم الوسيط (١/١١١).

(٢) الرائد جبران مسعود (١/٥٠٤) دار العلم للملايين.

(٣) مقدمة ابن خلدون ص (٢٤٩)، ومفتاح السعادة (٢/٥٩٩).

(٤) انظر التعريفات للجرجاني ص (٦٦).

وقد أخذ الجدل معاني متعددة في الفكر الإنساني:

(١) فالجدل عند سقراط من فلاسفة اليونان - مناقشة تقوم على حوار سؤال وجواب.

(٢) وهو عند أفلاطون: منهج في التحليل المنطقي يقوم على قسمة الأشياء إلى أجناس وأنواع بحيث يصبح علم المبادئ والحقائق الأزلية.

(٣) وعند مناطقة المسلمين قياس مؤلف من مشهورات ومسلمات.

(٤) وعند كانط: منطق ظاهري في سفسطة المصادرة على المطلوب وخدع الحواس.

(٥) وعند هيجل: انتقال الذهن من قضية ونقيضها إلى قضية ناتجة عنهما ثم متابعة ذلك حتى نصل إلى المطلق[1].

ونلاحظ أن هذه التعريفات والمعاني المتعددة قد أخذت الطابع المنطقي والفلسفي الذي سيطر على أصحاب هذه التعريفات.

ونحن في دراستنا عن الجدل والمناظرة -سنأخذ بالمعنى العام للجدل- حتى يشمل الفكر الإنساني، بدون صبغة معينة.

وقد ألف علماء الإسلام في علم الجدل والمناظرة -وكانت الحاجة ماسة إليهما، لوضع القواعد والأصول التي ينطلق منها من يريد أن ينتصر للحق الذي يدافع عنه وينادي به- وقد أمدنا العلامة ابن خلدون عن السبب الذي من أجله ألف العلماء فيه يقول: لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعًا وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج ومنه ما يكون صوابًا ومنه ما يكون خطأً فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آدابًا وأحكامًا يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول وكيف يكون حال المستدل والمجيب، وحيث يسوغ له أن يكون مستدلاً وكيف يكون

(١) المعجم الفلسفي ص (٥٩، ٦٠).

مخصوصًا منقطعًا ومحل اعتراضه أو معارضته وأين يجب عليه السكوت ولخصمه الكلام والاستدلال[(١)].

وكلام ابن خلدون يعني:

أولاً: أن العلماء وضعوا الحدود التي يتميز بها الكلام الصواب من الكلام الخطأ.

ثانيًا: أن من قواعد الجدل أن يعطي المجادل لخصمه الفرصة في الكلام أي أنه يحدد متى يتكلم المجادل ومتى يستمع.

ثالثًا: أن الجدل لا يستمر إلى ما لا نهاية بل يقف عند حد معين من المتجادلين، والذي يوقفه ويضبطه هو القواعد التي وضعها العلماء للمتجادلين والمتناظرين.

أنواع الجدل:

الجدل قد يكون مذمومًا إذا قُصد به واتخذ وسيلة لرفض الحق الظاهر الجلي، وقد يكون مذمومًا أيضًا إذا قصد به الكلام الفارغ الذي يؤدي إلى الشقاق والنزاع.

وقد يكون محمودًا إذا قصد به الدفاع عن الحق أو الدعوة إليه، ولهذا جادل نوح والأنبياء من بعده حتى يظهر الحق.

يقول الرازي: من الناس من عاب الاستدلال والبحث والنظر والجدال واحتجوا بوجوه:

أحدها: قوله تعالى: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة :١٩٧] وهذا يقتضي نفي جميع أنواع الجدل.

ثانيها: قوله عز وجل: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف :٥٨]. عابهم الله بكونهم من أهل الجدل وذلك يدل على

(١) المقدمة لابن خلدون ص (٢٤٩).

أنه مذموم.

ثالثها: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال :٤٦] نهى عن المنازعة التي أحد وسائلها الجدل.

وبعد أن يعرض الرازي حجة المانعين للجدل لكونه مذمومًا في نظرهم يعرض حجة القائلين بمشروعية الجدل وأنه طاعة عظيمة لله سبحانه يقول:

وأما جمهور المتكلمين فإنهم قالوا: الجدال في الدين طاعة عظيمة واحتجوا عليه بقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل :١٢٥] وبقوله تعالى حكاية عن الكفار لنوح ﴿يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا﴾ [هود :٣٢] ومعلوم أنه ما كان ذلك الجدال إلا لتقرير أصول الدين، ثم يوفق بين النصوص التي ظاهرها ذم الجدل والنصوص التي تمدح الجدل فيقول «**نحمل الجدل المذموم على الجدل في تقرير الباطل وطلب المال والجاه، والجدل الممدوح على الجدل في تقرير الحق ودعوة الخلق إلى سبيل الله، والذب عن دين الله تعالى**»[1].

ونحن مع الرازي في هذا التوفيق لأن الجدال أحيانًا يكون واجبًا كالجهاد في سبيل الله، إذا كان السبيل إلى تبليغ الناس دين الإسلام لا يتأتى إلا به. أما حين يكون الجدل هوى في النفس وسبيلاً إلى محاولة الظهور والعلو بالباطل فهو الجدال المذموم، لا خلاف في ذلك.

الجدال المحمود وضوابطه:

أولاً: أن يكون بالتي هي أحسن:

يقول تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل :١٢٥].

---

(١) التفسير الكبير للرازي (١٨١/٣).

ويقول عز وجل: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

إن الجدال من الوسائل التي تستخدم لنشر الأفكار والإقناع بها، ولما كان الجدل سلاح للدفاع عن الأفكار فقد أمر الله به للدفاع عن الحق الإسلامي مشروطًا بأن يكون بالتي هي أحسن[١].

ونلاحظ كما يقرر أستاذنا الدكتور عبد الله الشاذلي أن القرآن لم يطلب الحسن في الجدال وإنما طلب الأحسن أي أرقى وأفضل طريقة يجادل بها، وإنما جاءت بصيغة التفضيل لما يحويه الجدل من شدة في الخصومة ومن تعنت وتعصب، فلكي يقاوم القرآن هذا الميل العارم نحو الهوى الذى في الجهة المقابلة بصيغة تفيد الدقة المتناهية في الحسن حتى تؤثر على نفس المخاطب أو الخصم، حتى ينتبه المجادل المسلم جيدًا لما ينبغي أن يكون عليه فكرًا ونفسًا ولفظًا[٢].

ونلاحظ أن آية سورة النحل، كان الرسول ﷺ مأمورًا فيها بالدعوة بمكة في وقت الأمر بمهادنة قريش وأمره أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف، وهكذا ينبغي أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة، فهي محكمة في جهة العصاة من الموحدين، ومنسوخة بالقتال في حق الكافرين، وقيل: إن من أمكنت معه هذه الأحوال من الكفار ورُجي إيمانه بها دون قتال فهي محكمة[٣].

وتأتي الحكمة البالغة في الأمر بالجدال بالتي هي أحسن، لأن النفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق حتى لا تشعر بالهزيمة، وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأي،

---

(١) ضوابط المعرفة ص (٣٦٢) عبد الرحمن حبنكة الميداني، الطبعة الثالثة دار القلم، دمشق.

(٢) مدخل إلى الاستدلال القرآني ص (٩٠) أ.د/ عبد الله الشاذلي.

(٣) انظر تفسير القرطبي (١٠/٢٠٠).

وقيمتها هي عند الناس، فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلاً عن هيبتها واحترامها وكيانها، والجدل بالحسنى هو الذي يطمئن النفس من هذه الكبرياء الحساسة، ويشعر المجادل أن ذاته مصونة، وقيمته كريمة، وأن الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها والاهتداء إليها في سبيل الله لا في سبيل ذاته ونصرة رأيه، وهزيمة الرأي الآخر[١].

وإذا ما تركنا آية سورة النحل، وقصدنا آية سورة العنكبوت، وفيها يأمر الله تعالى المسلمين أن لا يجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن.

يقول تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت :٤٦].

أهل الكتاب هنا مقصود بهم اليهود والنصارى والتي هي أحسن أي بالخصلة التي هي أحسن كمقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم، والمشاغبة بالنصح والسورة بالأناة كما قال سبحانه: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [المؤمنون :٩٦] إلا الذين ظلموا منهم ولم يقبلوا النصح، ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة[٢].

ثانيا: التخلي عن التعصب:

وقد أرشد القرآن الكريم إلى هذا الضابط وعلم رسوله ﷺ والمسلمين أن يقولوا للمشركين:

﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٢٤ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [سبأ: ٢٤-٢٥] .

وهذه الآية فيها إرشاد من الله لرسوله إلى المناظرات الجارية في العلوم

(١) انظر في ظلال القرآن (٤، ٢٢٠٢).
(٢) تفسير الألوسي (٣/٢١).

وغيرها وذلك لأن أحد المتناظرين إذا قال للآخر هذا الرأي الذي تقوله خطأ وأنت مخطئ يغضبه وعند الغضب لا يبقى سداد الفكر وعند اختلاله لا مطمع في الفهم فيفوت الغرض، وأما إذا قال له بأن أحدنا لا يشك في أنه مخطئ والتمادي في الباطل قبيح، والرجوع إلى الحق أحسن الأخلاق فنجتهد ونبصر أينا على الخطأ فيحترز فإنه يجتهد ذلك الخصم في النظر ويترك التعصب، وذلك لا يوجب نقصًا في المنزلة لأنه أوهم بأنه في قوله شاك، ويدل عليه قوله تعالى لنبيه: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ [سبأ :٢٤] مع أنه لا يشك في أنه هو ا لهادي وهو المهتدي وهم الضالون والمضلون[١].

ثالثًا: تقديم الحجة البرهان:

لابد أن يقدم الذي يتخذ الجدال وسيلة لإثبات ما يدعو إليه، الحجة والبرهان، لأن عدم تقديم الحجج والبراهين يؤدي إلى اللدد في الخصومة، ولقد قدم لنا القرآن الكريم أمثلة تحتذى في استدلاله بالبراهين والحجج الملزمة للمخالفين، يقول تعالى: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤]، وفي قوله سبحانه: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ۖ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٤].

وهنا يطلب الله منهم الدليل على ما يقولون، وهم لا دليل عندهم من جهة العقل ولا من جهة السمع، ثم بين الله عز وجل أن وقوعهم في هذا المذهب الباطل ليس لأجل دليل ساقهم إليه بل ذلك لأن عندهم ما هو أصل الشر والفساد كله وهو عدم العلم ثم ترتب على عدم العلم الإعراض عن استماع الحق وطلبه[٢].

(١) تفسير الرازي (١٣/٢٥٨).
(٢) انظر التفسير الكبير للرازي (١١/١٥٨).

ومثله قوله تعالى حكاية عن اليهود والنصارى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

هنا هم يزعمون أنه لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديًا أو نصرانيًا، يطلب الله منهم الحجة والبرهان.

يقول الزمخشري: «**هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة إن كنتم صادقين في دعواكم وهذا أهدم شئ لمذهب المقلدين وأن كل قول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت**»(١).

رابعًا: ألا تتناقض أقوال المجادل مع بعضها:

وهذا يعني أن يكون كلام الذي يجادل خاليًا عن التعارض والتناقض، فإذا تناقض الكلام وعارض بعضه بعضًا كان الكلام ساقطًا لا حجة فيه ولا قيمة له. ومن أمثلة ذلك: قول المشركين للنبي ﷺ، حين يرون الآيات الباهرات ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢] يقول سبحانه واصفًا قولهم: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۞ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١-٢]. ففي قولهم هذا تعارض وتهافت ظاهر لا يستحق ردًا وذلك لأن من شأن السحر كما يعلم المشركون أن لا يكون مستمرًا، ومن شأن الأمور المستمرة ألا تكون سحرًا أما أن يكون الشيء الواحد سحرًا ومستمرًا معًا فذلك جمع بين أمرين متضادين لا يجتمعان(٢).

وقد سبق فرعون عليه اللعنة المشركين في التناقض.. يقول عز وجل: ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۞ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٣٨-٣٩].

(١) الكشاف للزمخشري (١/ ٣٠٤-٣٠٥).
(٢) ضوابط المعرفة ص (٣٦٨).

وهذان أمران يكادان يكونان متضادين، فمن غير المقبول منطقيًا أن يكون الشخص الواحد مترددًا بين كونه ساحر وكونه مجنون لأن من شأن الساحر أن يكون كثير الفطنة والذكاء والدهاء وهذا أمر يتنافى مع الجنون تنافيًا كليًا، وفي كلام فرعون تهافت ظاهر يسقطه من الاعتبار لدى المناظرة فهو لا يستحق عليه جوابًا، وهو يشعر بأن فرعون يتهرب من منطق الحق[1].

خامسًا: قبول النتائج التي يُتوصل إليها:

من ضوابط الجدل أن يقبل المتجادلان النتائج التي توصل إليها الأدلة القاطعة أو الأدلة المرجحة إذا كان الموضوع مما يكفي فيه الدليل المرجح وإلا كانت المناظرة من العبث الذي لا يليق بالعقلاء أن يمارسوه[2].

الجدل المذموم ومظاهره:

قلنا إن هناك جدلاً محمودًا، لا يقل في أهميته عن الجهاد في سبيل الله وهو أحد الوسائل المشروعة التي سلكها الأنبياء والمرسلون لإقناع أقوامهم.

وهناك جدل مذموم، ذمه القرآن الكريم وحدد له مظاهر وجعل له علامات منها:

١- أنه جدال بالباطل:

يقول تعالى: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا﴾ [الكهف :٥٦].

يقول الرازي: وهذا يدل على أن الأنبياء كانوا يجادلونهم لما بينا أن المجادلة إنما تحصل من الجانبين وبيّن تعالى أيضًا أنهم اتخذوا آيات الله وهي القرآن وإنذارات الأنبياء هزوًا وكل ذلك يدل على استيلاء

(١) ضوابط المعرفة ص (٣٦٨).

(٢) نفس المصدر.

الجهل والقسوة[١].

٢- أنه جدال بغير علم:

يقول سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ [الحج :٨].. والمفسرون على أن الآية نزلت في «**النضر بن الحارث**» كان يزعم أن الله عز وجل غير قادر على إحياء من قد بلي وعاد ترابًا، وكان يقول الملائكة بنات الله، ولذلك كان وصف القرآن لمن قال هذا وجادل به أنه بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، ومن كان هذا وصفه فله في الدنيا خزي أي هوان وذل بما يجري له من الذكر القبيح على ألسنة المؤمنين إلى يوم القيامة، وقيل الخزي هنا مراد به القتل لأن النبي ﷺ قتل النضر بن الحارث يوم بدر صبرًا، ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق أي نار جهنم[٢].

ومن الجدال بغير علم: الجدال في ذات الله سبحانه، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾ [الرعد :١٣].

وهذه الآية تصور جدال أصحاب الباطل الذين يجادلون في الله بعقولهم ويتصورون تصورات فاسدة فقالوا أم من نحاس هو أمن حديد؟ أم من زبرجد؟ أم من ياقوت؟ إلى آخر هذه الأوهام التي قاسوا فيها المولى عز وجل على أصنامهم التي صنعوها بأيديهم[٣].

٣- أنه جدال بعد بيان الحق:

وهذا الجدال يذم حتى إذا صدر عن المؤمنين لأن الأصل أن الحق إذا ظهر

---

(١) التفسير الكبير للرازي (١٤٢/١١).

(٢) انظر تفسير القرطبي (١٥/١١-١٦-١٧).

(٣) انظر: مدخل إلى الاستدلال القرآني ص (٩٨).

واتضح فواجب على المسلمين أن يقولوا سمعنا وأطعنا، ولذلك عاتب الله المؤمنين قبيل غزوة بدر، في قوله تعالى: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ [الأنفال :٦].

وجدالهم قولهم: ما كان خروجنا إلا للعير وهلا قلت لنا؟ لنستعد ونتأهب للقتال وذلك لأنهم كانوا يكرهون القتال ثم إنه تعالى شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم بحال من يجر للقتل ويساق إلى الموت وهو شاهد لأسبابه ناظر لموجباته[1].

ونظيره قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء :١٠٧] وقد أخذ العلماء من هذه الآية أنه **«لا ينبغي إذا ظهر للمسلمين نفاق قوم أن يجادل فريق منهم فريقًا عنهم ليحموهم ويدفعوا عنهم فإن هذا قد وقع على عهد النبي ﷺ وفيهم نزل قوله تعالى:** ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء :١٠٥] وقوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء :١٠٧] والخطاب للنبي ﷺ والمراد منه الذين كانوا يفعلونه من المسلمين دونه لوجهين:

أحدهما: أنه تعالى أبان ذلك بما ذكره بعد قوله: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [النساء :١٠٩] .

والآخر: أن النبي ﷺ كان حكمًا فيما بينهم ولذلك كان يعتذر إليه ولا يعتذر هو إلى غيره، فدل أن القصد لغيره»[2].

كل هذه الأمور هي التي تجعل الجدال يذم أيًا كان مصدره، وهذه الأمور كل منها مذموم في نفسه ولا يؤدي إلى خير، أما الجدال بالحق فهو دائمًا يقود إلى الخير والهدى ولذا يسلكه أهل الحق في كل زمان ومكان ما دام لا يخرج عن ضوابطه الشرعية.

---

(١) التفسير الكبير للرازي (١٣١/٨).

(٢) تفسير القرطبي (٣٧٧/٥).

المبحث الثاني

الاختلاف والشقاق

الاختلاف والمخالفة: أن ينهج كل شخص طريقًا مغايرًا للآخر في حاله أو في قوله. والخلاف أعم من الضد لأن كل ضدين مختلفان وليس كل مختلفين ضدين[١].

ولما كان الاختلاف بين الناس في القول قد يفضي إلى التنازع استعير ذلك للمنازعة والمجادلة، يقول تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران :١٩]، ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ [مريم :٣٧] .

ومن هذه الآيات وغيرها يمكن أن نعد «الخلاف والاختلاف» هو ما يراد به مطلق المغايرة في القول أو الرأي أو الحالة أو الموقف[٢].

أما الشقاق: فيظهر حين تشتد الخصومة بين المتجادلين ويؤثر كل منهما الغلبة بدل الحرص على ظهور الحق ووضوح الصواب.

وحين يتعذر أن يقوم بينهما تفاهم أو اتفاق تسمى تلك الحالة بالشقاق وفي القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ [النساء :٣٥] أي خلافًا حادًا يعقبه نزاع يجعل كل واحد منهما في شق غير شق صاحبه[٣].

ومن خلال تعريف الخلاف والشقاق نجد أن الخلاف أقل درجة من

(١) المقدمة لابن خلدون ص (٢٤٩).
(٢) أدب الاختلاف في الإسلام ص (٢٣-٢٤).
(٣) أدب الاختلاف في الإسلام ص (٢٦).

الشقاق -إذ إن الخلاف لا يعدو إلا الاختلاف في الرأي- أي يتعلق بالمعنويات أما الشقاق فدرجته أشد وهو يعني المفارقة الحسية والمعنوية.

منشأ الخلاف - بين الناس:

من حكمة الله أن جعل بعض الناس يمتازون عن بعض بالذكاء والعقل والتفكير والنظر السليم والبصيرة النافذة والفكر الثاقب. وجعل بعضهم أيضًا فيه قصور نظر فلا يستطيع الإحاطة بالموضوعات التي تطرح عليه وليس عنده جد واجتهاد في تتبع الجزئيات للوصول إلى الكليات ومن الناس من يتضح أمامه الحق، ثم نراه يختلف عليه ويعرض عنه، لا لشيء إلا لهوى في نفسه واعوجاج في تفكيره.

ولقد اجتهد العلماء فبحثوا عن الأسباب التي تجعل كل جماعة يفرحون بما أوتوا ويحسبون أنهم على الحق وأن ما عداهم على الباطل. وهذه الأسباب هي:

(١) الهوى:

قد يكون الخلاف وليد رغبات نفسية لتحقيق غرض ذاتي أو أمر شخصي، وقد يكون الدافع للخلاف رغبة التظاهر بالعلم والمعرفة أمام الناس فترى الذي يختلف مع غيره يتشدق بالكلام ويتحذلق بالمعاني ويتفيقه بها، وهذا الهوى مذموم بكل أشكاله وألوانه لأن صاحبه حريص على الانتصار لرأيه، وهو يعلم أنه باطل، وما كفر اليهود والنصارى إلا للهوى الذي سيطر على نفوسهم وأحاط بهم، بقوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة :٨٧].

ولذلك نهى الله نبيه داود عنه: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص :٢٦].

وبيّن الله أن فساد السموات والأرض لو حدث مترتب على اتباع الهوى..

يقول تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون :٧١] أما الطرق التي يعرف بها المسلم أن هذا الشخص يتبع هواه فتتمثل في الآتي:

١- أن تخالف تلك الفكرة الكتاب والسنة[1] لأن اتباع الكتاب والسنة حق وتركهما هوى وضلال.

٢- أن يقصد صاحبها من ورائها نفع مادي أو معنوي يتمثل في الشهره والذيوع والانتشار مثلاً.

(٢) التقليد:

ويعرف أنه المتابعة للغير بلا دليل أو برهان[2] وهو مذموم إذا كان اتباعًا للآباء والأجداد والرؤساء والكبراء في غير ما أمر الله، ولقد سفَّه الله المشركين وعاب عليهم حين قلدوا آباءهم في الشرك والكفر بقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة :١٧٠]، وإنما رد عليهم القرآن لأنهم أهملوا عقولهم ولم يفكروا في الدعوة المعروضة عليهم.

ولم تكن لهم حجة، إلا أنهم على دين آبائهم فحسب، ولذلك يعرض القرآن الكريم عليهم أن يأتي لهم بطريقة أفضل مما كان عليه آباؤهم وأجدادهم، ولكنهم تمسكوا بتقليدهم وأضافوا علة جديدة لعدم اتباع الحق، ألا وهي الكفر بما أتى به الأنبياء والمرسلون.

يقول تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الزخرف :٢٣-٢٤].

---

(١) انظر أدب الاختلاف في الإسلام ص (٢٩، ٣٠).

(٢) موقف القرآن الكريم من الفكر المادي ص (١٣٣).

هذا التقليد أحد الأسباب التي أدت إلى اختلاف الناس فيما بينهم بين الحق والباطل.

يذكر الأستاذ العقاد أن «**أكبر الموانع في سبيل العقل عبادة الأسلاف التي تسمى بالعرف والاقتداء الأعمى بأصحاب السلطة الدينية والخوف المهين لأصحاب السلطة الدنيوية**.

وهذه الموانع كلها -موانع العرف القدوة العمياء والخوف الذليل- إنما تقوم وتبقى ما هان على الإنسان أن يعيش بغير عقل يرجع إليه في أكرم مطالبه الإنسانية وهو صلاح ضميره، ولكنها تزول على الأثر يوم يرجع إليه عقله أمام كل عقبة من عقباتها، وقد يشق عليه أن يذلل تلك العقبات أو يناجزها ولكنه حق العقل عليه ولابد من حق تهون من أجله المشقة لأنها أهون من سلب الإنسان فضيلته العليا واستكانته إلى حياة لا تعقل أو حياة تعقل ولكنها تؤثر الحطة على علمها ما هو أرفع منها»[1].

هذا التقليد هو الذي يؤدي إلى الاختلاف والتباين بين الناس وبعضهم، لأن البعض يصمم على عدم إعمال عقله وفكره، وقد رأينا كيف رد القرآن الكريم على هذه الأصناف وبيّن فساد معتقدهم وتقليدهم.

وكما يقول الشيخ أبو زهرة: «**فلا تزال نزعة تقليد السابقين في نفوس الناس وإن كانوا يتفاوتون فيها قوة وضعفًا وإن سلطان الأفكار التي أكسبتها الأجيال قداسة يسيطر على القلوب فيدفع العقول إلى وضع أقيسة وبراهين لبيان حسنها وقبح غيرها، وطبيعي أن يدفع ذلك إلى الاختلاف والمشاحنة والمجادلة غير المنتجة لأن كلا يناقش وهو مغلول بقيود الأسلاف من حيث لا يشعر ولو فكت قيود المتناظرين لظهر لهما الحق المبين**»[2].

(١) التفكير فريضة إسلامية ص (١٨، ١٩) بتصرف.

(٢) الجدل ص (١٠) بتصرف.

أي أن الإنسان إذا تجرد وبحث بدون تقليد لأحد لاهتدى إلى الحق وإلى الطريق المستقيم ولقد دعا رسول الله ﷺ المشركين أن يتنحوا عن معتقداتهم السابقة ثم يبحثوا بلا تقليد أو هوى ما عليه رسول الله ﷺ.

يقول الله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ :٤٦]. إنها دعوة إلى القيام لله بعيدًا عن الهوى بعيدًا عن المصلحة بعيدًا عن ملابسات الأرض بعيدًا عن الهواتف والدوافع التي تشتجر في القلب فتبعد به عن الله بعيدًا عن التأثر بالتيارات السائدة في البيئة والمؤثرات الشائعة في الجماعة، إنها بالرغم أنها دعوة فهي في الوقت ذاته منهج في البحث عن الحقيقة منهج بسيط يعتمد على التجرد من الرواسب والغواشي والمؤثرات وعلى مراقبة الله وتقواه، وهي واحدة إن تحققت صح المنهج واستقام الطريق القيام لله لا لغرض ولا لهوى ولا لمصلحة ولا لنتيجة التجرد، الخلوص ثم التفكر والتدبر بلا مؤثر خارج عن الواقع الذي يواجهه القائمون لله المتجردون[1].

(٣) التعصب:

من الأمور التي تؤدي إلى الاختلاف تعصب الفرد أو الجماعة لفكرة معينة هذه الفكرة حين تسيطر على إنسان تمنعه من وصول أي فكرة أخرى إلى عقله وتفكيره وتراه مهتاج الأعصاب وثائر على من يناقشه فيها، ومنشأ هذا التعصب يرجع إلى:

أ- قوة تمسك بالفكرة التي يعتنقها الفرد.

ب- غرور ومكابرة يسيطران على الفرد.

ج- أعصاب ضعيفة تمنع من إدراك الفكرة الجديدة التي تعرض عليه.

(١) ظلال القرآن (٥/٢٩١٤).

والتعصب يلزمه المجادلة والمكابرة، وقد يخفى على الإنسان موضع التعصب في نفسه فيحسب أنه مخلص في طلب الحق، وهو مُنطوٍ على عصبية تدفعه[١].

(٤) الرياسة وحب الجاه والسلطان:

كثيرًا ما يدفع ذو السلطان إلى الأخذ بآراء ساقته إليها رغبة ملحة جامحة، ويحمل البعض فكرة السلطان، فينشرونها ويجادلون الناس لإقناعهم بها ولكن هذه الفكرة لا تدخل على الناس، فينبري البعض الآخر لمناقشتها وتفنيدها وبيان فسادها، فيكون بين الفريقين خصام وجدال ومناظرة[٢].

كانت هذه بعض الأسباب الداعية إلى الاختلاف والجدال والمناظرة، ونقول بعض لأن هناك من الأسباب والدواعي للأمور المشار إليها سابقًا الكثير والكثير، ولكن اكتفينا بالأصول الجوهرية التي تسبب الجدال والخلاف.

* * *

(١) تاريخ الجدل ص (١١).

(٢) تاريخ الجدل ص (١١).

المبحث الثالث

نماذج من الجدال والمناظرة في عهد الرسول ﷺ

منذ أن صدع رسول الله ﷺ بالإسلام في مكة والجدال والنقاش بين كفار مكة، وبين الرسول ﷺ لم ينقطع، وقد نقل لنا كتاب السيرة طرفًا من الجدال الذي دار بين المشركين وبين النبي ﷺ.

أورد ابن هشام في سيرته:

أن المشركين عندما ضاقوا بالنبي ﷺ وذهبت معهم كل حيلة لهم وبعثوا إليه ليكلموه ويخاصموه فجاء إليهم ﷺ فقالوا له: يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنكلمك، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء وعبت الدين وشتمت الآلهة، وسفهت الأحلام وفرقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح إلا جئته فيما بيننا وبينك فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تطلب الشرف فينا فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد ملكًا ملكناك علينا وإن كان هذا الذي يأتيك رِئيًا تراه قد غلب عليك بذلنا لك أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك.

فقال لهم رسول الله ﷺ: (ما بي ما تقولون: ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليّ كتابًا وأمرني أن أكون لكم بشيرًا ونذيرًا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه على أصبر لأمر الله، حتى يحكم الله بيني وبينكم).

قالوا: يا محمد فإن كنت غير قابل منا شيئًا مما عرضنا عليك فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق ولا أقل ماء، ولا أشد عيشًا منا فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليفجر لنا فيها أنهارًا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا ما مضى من آبائنا وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخ صدق فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل؟ فإن صدقوك صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله وأنه بعثك رسولاً كما تقول.

فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه: ما بهذا بعثت إليكم إنما جئتكم من الله بما بعثني به وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه على أصبر لأمر الله تعالى حتى يحكم الله بيني وبينكم.

قالوا: فإذا لم تفعل فسل لنا ربك أن يبعث معك ملكًا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك، وسله فليجعل لنا جنانًا وقصورًا وكنوزًا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي فإنك تقوم في الأسواق كما نقوم تلتمس المعاش كما نلتمسه. حتى نعرف فضلك ومنزلتك عند ربك إن كنت رسولاً كما تزعم.

فقال لهم رسول الله ﷺ: ما أنا بفاعل، وما أنا بالذي يسأل ربه هذا، وما بعثت إليكم بهذا، ولكن الله بعثني بشيرًا ونذيرًا، فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر حتى يحكم الله بيني وبينكم قالوا: فأسقط علينا كسفًا من السماء كما زعمت أن ربك لو شاء فعل فإنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل. فقال رسول الله ﷺ: ذلك إلى الله إن شاء أن يفعله بكم فعل.

قالوا يا محمد: أما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه، ونطلب منك ما نطلب، فيتقدم إليك فيعلمك ما تراجعنا به، ويخبرك ما هو

صانع في ذلك منا إذا لم نقبل منك ما جئتنا به. إنه قد بلغنا أنه يعلمك هذا رجل باليمامة. يقال له الرحمن، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبدًا فقد أعذرنا إليك يا محمد وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا(١).

ولنا بعض الوقفات مع هذا الحوار وتلك المناظرة بين الرسول ﷺ وكفار مكة:

أولاً: أن صاحب الحق لا يستنكف أن يجلس مع أهل الباطل وهذا ما حدث من النبي ﷺ مع المشركين فقد أرسلوا إليه ولم يأتوا هم إليه.. وبالرغم من ذلك فلم يستكبر الرسول ﷺ وذهب إليهم.

ثانيًا: مما يجب أن يتميز به صاحب الحق الإنصات والاستماع لكلام المخالفين وألا يقاطعهم في كلامهم حتى وهو يعلم أنه كلام باطل ومطالبهم لا تستجاب. وهذا ما وقع من النبي ﷺ.. فقد ظل المشركون يعددون الوجوه التي تجعل النبي منبوذًا بينهم ويلوحون في الوقت ذاته على استمالة النبي إليهم.. عن طريق الترغيب مرة بالمال، ومرة بالجاه والسلطان، ومرة بالعلاج والشفاء، ومع ذلك فقد رفض النبي أن يقاطع محدثهم في الكلام حتى انتهى، ثم بدأ يرد على كل بند من بنود عروضهم.

ثالثًا: الإيجاز في الرد على ما أثاروه أولاً، ثم الإسهاب في الحديث عن الرسالة التي جاء بها النبي ﷺ إنه يرد على عروضهم بقوله: **«ما بي ما تقولون»** عبارة جامعة مانعة ثم تفنيد عروضهم **«ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم»** هذا جانب الرد.

أما جانب عرض الدعوة، فقد أخذ جزءًا أكبر من الكلام... وركز ﷺ في إثبات دعواه، على أنه رسول من عند الله تعالى أنزل الله عليه القرآن، وأمره أن

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/٢٩٤، ٢٩٥).

ينذر قومه وأن يبلغهم رسالات ربه، والنصح لقومه وقد ذكر النبي أنه قام بذلك على الوجه الأكمل.

رابعًا: سعة صدر النبي ﷺ، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه أصحاب الدعوة الذين يتولون نشرها ويأخذون على عاتقهم إقناع الناس بها، فلا ينبغي أن يسيطر اليأس عليهم. يقول سيد الدعاة ﷺ: (فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة) هكذا بكل بساطة ويسر وسهولة، إنه يعرض عليهم الأمر من جميع جوانبه ويحيطهم علمًا بالذي سيعود عليهم في الدنيا والآخرة وبعد أن فند دعواهم، وشرح دعوته، وأخبرهم بالخير الذي سيجنيه المصدق بدعوته، إذا به ﷺ يترك لهم حرية الاختيار بين ما جاء به من الإسلام وما هم عليه من الكفر: (فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله، حتى يحكم الله بيني وبينكم).

إنه لم يترك ثغرة من الممكن أن يستند عليها الخصوم إلا وأغلقها أمامهم، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، لم يترك وسيلة تعينه على إبلاغه دعوته إلا واستخدمها -وبعد أن استنفد كافة ما عنده- ترك لهم حرية الاختيار واختار هو فضيلة الصبر، وأخيرًا فوض الأمر لله، يحكم بينه وبينهم، لقد جمع ﷺ طرق الجدل والمناظرة فأوعاها.

ويا ليت الدعاة يتعلمون من رسول الله ﷺ الإنصات لخصومهم، ثم تفنيد حججهم بعمق وبصيرة ثم تتسع صدورهم لإعراض خصومهم ثم الصبر على واقع الأمر، ثم تفويض الأمور لله عز وجل.

إن الدعاة إن فعلوا ذلك، ربُو أنفسهم على هدي رسولهم ﷺ وكسبوا أرضًا جديدة للدعوة.

خامسًا: إن الحجة حين تُعيي أصحاب الباطل وحين لا يجدون ما

يجادلون به عن أنفسهم وعن باطلهم، فإنهم يلجئون إلى المستحيلات التي تعجز صاحب الحق، وهذه المستحيلات على فرض وقوعها والإتيان بها من صاحب الحق فإنها لا تجعلهم يصدقون، وهذه بعض المطالب التي أرادوا من النبي ﷺ أن يأتي بها.

أ- طلب الجنات والقصور:

يقول سبحانه وتعالى مصورًا مطالب كفار مكة: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء :٩٠-٩٣].

وهذه المطالب لا يملك النبي إزاءها إلا الاعتراف ببشريته وأن هذه الأمور تخرج عن إمكانياته ﷺ، فما هو إلا بشر يوحى إليه ومن جهة بشريته فهو لا يملك أن يأتي بشيء ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف :١٨٨]. وفي هذا بيان أن الرسول ﷺ لا يملك شيئًا إلا بمشيئة الله فهو بشير ونذير والرسل كلهم هذا شأنهم..

يقول تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَـٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم :١١].

إن ديدن المجادلين بالباطل حين يعجزون عن مواصلة الحوار وحين يجاب عليهم بإقناع من جانب أصحاب الحق وعلى رأسهم رسل الله، أن يطلبوا أمورًا إعجازية ليست في مقدور الرسل، كبشر وإن كان الله يجريها على

أيديهم حين يريد عز وجل، ولذلك فقد أسيء فهم الرسل حين نظر إليهم على أنهم صناع معجزات، إن القرآن لا يرى في المعجزة عملاً بشريًا إنما المعجزة تتم بقدرة الله وليس لهؤلاء الرسل أكثر مما لدى قومهم من حق في ادعاء اختيار المعجزات أو استبدالها بغيرها، إن الله عز وجل يعطي سلطانه لمن يشاء وعلى أي شكل يريد بحسب تقديره سبحانه لأوفق طريقة تناسب هذا العصر أو ذاك(١).

ولقد أجاب النبي ﷺ على المشركين الذين جادلوه من جهته البشرية بعدم القدرة أما من جهة الله عز وجل، فالأمر يختلف تمامًا، فإذا كان الرسول ﷺ قد سجل عجزه عن تحقيق مطالبهم كبشر لا يملك لنفسه نفعًا ولاضرًا. فإن الله سبحانه قد رد على المجادلين للنبي ﷺ وسلى رسوله، وبين له قدرته عز وجل على إعطائه أفضل مما سأله المشركون. يقول تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ۝١٠ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الفرقان: ١٠-١١] أي أن الله قادر على أن يعطي للرسول ﷺ خيرًا مما طلبوه ويبين أنهم لم يطلبوا ذلك من أجل الإيمان ولكن تكذيبًا وتعنتًا وأن عدم إيمانهم بيوم القيامة هو الذي يجعلهم يتجرءون على الله وعلى رسوله، ولذا فإن الساعة موعدهم يذوقون السعير فيها(٢).

(ب) طلبهم بعث كبرائهم من الموت ليسالوهم عما جاء به النبى ﷺ:

لقد بلغ الجدال مبلغه وأغلقت القلوب -تمامًا- وبا واضحًا أن الطريق قد أغلق أمام المشركين، وفجأة إذا بهم يوغلون في التحدي والتكذيب، من المتصور أن يطلبوا من الرسول أن يوسع لهم أرضهم وأن يسألوه أن يفجر الأنهار تفجيرًا في صحرائهم أسوة بما في الشام والعراق من أنهار -وكانوا

(١) مدخل إلى القرآن الكريم ص (٨٠، ٨١) للدكتور محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت.
(٢) ابن كثير (٣/١١٠).

يسافرون إلى تلك البلاد- كل هذه المطالب متصورة.

أما غير المتصور أو المتوقع، أن يصل الغلو أقصاه فيسألون النبي ﷺ أن يبعث لهم من الموت آباءهم وأجدادهم، وليكن فيمن يحييه النبي من الموت قصي بن كلاب!!!

وهذا السؤال، ليس مقصودًا منه أن يدلل لهم النبي على صحة البعث ووقوعه بعد الموت وكان البعث من الأمور المستبعدة من جانب المشركين.

إنما السؤال للنبي، كان المقصود منه: أن يستفسروا من آبائهم وأجدادهم هل محمد صادق أو كاذب؟

ويشترط أهل مكة، أن يكون على رأس المبعوثين من الموت «قصي بن كلاب» والعلة، بالنسبة للأخير «**أنه كان شيخ صدق**» والعلة في إحياء الآباء والأجداد «**فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل؟ فإن صدقوك صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله وأنه بعثك رسولاً كما تقول**».

هل رأى القارئ لجاجة في الجدل، ومخالفة للواقع مثل هذا؟

وعلى الرغم من أن هذه التحديات والمطالب لا تستحق مجرد الالتفات إليها إلا أن الله عز وجل تكلم بدلاً عن محمد ﷺ، وناقش المشركين فيما عرضوه على الرسول وبين أن النبي إن طلب من الله تحقيق رغباتهم فلن يزيدهم هذا إلا إعراضًا وتكذيبًا.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١].

ومعني الآية كما فسرها الرازي والقرطبي: أن الله تعالى لو حشر عليهم كل شيء قبلاً أي معاينة وشهدوا بصحة ما يقول لما آمنوا وموضع الإعجاز فيه أن الأشياء المحشورة منها ما ينطق ومنها ما لا ينطق فإذا أنطق الله الكل وأطبقوا

على قبول هذه الكفالة كان ذلك من أعظم المعجزات ومع هذا كله فإنهم لا يؤمنون[١].

(ج) طلبهم من الرسول ﷺ أن ينزل عليه ملك ليساعده على الرسالة:

إن الجحود قد يسيطر على إنسان أو جماعة فيسد منافذ التفكير السليم والعقل الرشيد لديهم، وقد رأينا هذا واضحًا جليًا من جماعة الجدال والخصام التي كلمت النبي ﷺ، لقد طلبوا الجنات والقصور، وقلنا هذا جائز.. وطلبوا بعث الموتى وبينا استحالة الأمر -لسبق كلمة الله أن من مات فلا يرجع إلا يوم القيامة- ومع هذا فإن الله رب العالمين علم أنهم لو خرج إليهم آباؤهم وأجدادهم من قبورهم وكلموهم وشهدوا بصدق الرسول فإنهم لن يؤمنوا.

ولكن مجادلي النبي طلبوا المستحيل فعلاً وواقعًا، لقد سألوا النبي ﷺ أن يسأل ربه أن يبعث معه ملكًا، يصدقه ويكلمهم ويكلمونه..

وقد عرض القرآن شبهتهم في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام :٨-٩].

إن الله عز وجل بين استحالة نزول الملك لأمور منها:

(١) أن نزول الملك على البشر آية باهرة فبتقدير نزوله فربما لم يؤمنوا وإذا لم يؤمنوا وجب هلاكهم بعذاب الاستئصال كما جرت سنة الله مع السابقين ولذلك لم ينزل إليهم الملك لئلا يستحقوا العذاب.

(٢) أن نزول الملك على صورته الحقيقية لا يتحمله البشر ومن ثم فهم لا يطيقون نزوله، لأنهم إذا شاهدوه زهقت أرواحهم من هول ما يشهدون وبيان ذلك أن الآدمي إذا رأى الملك فإما أن يراه على صورته الأصلية أو على صورة البشر.

---

(١) مفاتيح الغيب (١٥٨/١٣، ١٥٩)، والقرطبي (٦٦/٧، ٦٧).

فإن كان الأول: فإن الآدمي لا يبقى حيًا، ولذلك كان رسول الله ﷺ إذا رأى جبريل غشي عليه.

وإن كان الثاني: فإن المرئي يكون شخصًا على صورة البشر كأضياف إبراهيم وحينئذ يقول المكذبون إنه رجل وليس بملك فيعود سؤالهم ولذا قال سبحانه: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام :٩].

(٣) إن ظهور الملك لن يقضي على شبهات المكذبين ولكن سيفتح شبهات أخرى لديهم لأن أي معجزة تظهر على يديه يقولون هذا فعلك فعلته باختيارك وقدرتك ولو حصل لنا مثل ما حصل لك من القدرة والقوة والفعل لفعلنا مثل ما فعلته[1].

سادسًا: وحين يعجز المجادل بالباطل أن يقابل الحجة بالحجة، فيعمد إلى تجريحه وتسفيهه وتعييره، بصنعته أو بحال معاشه، وقد فعل ذلك الذين جادلوا رسول الله ﷺ، فقد قالوا له سل لنا ربك أن يجعل لنا جنانًا وقصورًا وكنوزًا من ذهب وفضة -يعينك عما نراك تبتغي، فإنك تقوم في الأسواق كما نقوم وتلتمس المعاش كما نلمسه حتى نعرف فضلك ومنزلتك عند ربك إن كنت رسولاً- كما تزعم.

إن مجادلي الرسول ﷺ كغيرهم من المجادلين لأنبياء الله، نظروا إلى الاصطفاء بالرسالة على أنه منصب عظيم لا يليق إلا بأحد العظماء من أصحاب المال والجاه والسلطان، أما رسول الله ﷺ فهو في نظرهم يتكسب معاشه من التجارة في الأسواق، ومن أجل هذا لا ينبغي أن يكون نبيًا إلا إذا ميزه الله بالجنات والقصور وكنوز الذهب والفضة، وعند التأمل نجد أن شبهتهم داحضة ونظرتهم قاصرة من وجوه:

الأول: أنهم ظنوا أن الشرف لا يحصل إلا بالمال والأعوان وذلك باطل

---

(١) الكشاف (٦/٢، ٧)، ومفاتيح الغيب للرازي (١٦١/١٢، ١٦٢).

فإن مراتب السيادة ثلاثة أعلاها وهي النفسانية وأوسطها وهي البدنية وأدناها وهي الخارجية من المال والجاه والسلطان.

فالمنكرون لنبوة الرسول ﷺ عكسوا القضية وظنوا أن أخس المراتب وأدناها هي أشرفها وأعلاها، فلما نظروا ووجدوا المال والجاه والسلطان عند غيره ظنوا أن غيره أشرف منه، وهذا من القياس القاصر ولو أنهم نظروا إلى دلائل نبوته ﷺ ما قالوه، وهذا دليل على أنهم تركوا النظر والاستدلال.

الثاني: أن منصب النبوة منصب عظيم ودرجة عالية، والقادر على هيئتها يجب أن يكون كامل القدرة وعظيم الجود وهذا لا ينبغي إلا لله سبحانه وتعالى، وإذا كان هو تعالى كامل القدرة والجود لم يتوقف كونه واهبًا لهذه النعمة على كون الموهوب له غنيًا أو فقيرًا فتلك مقاييس لا ينظر الله إليها، ثم إنه تعالى لما أوقع التفاوت في مناصب الدنيا لا لسبب سابق فلماذا يستبعد عليه أن يوقع التفاوت بين الناس في منصب النبوة؟

الثالث: أن الله عز وجل هو الذي يقسم الأرزاق بين الناس لأن له ملك السموات والأرض، ولا يملك أحد منهم تغيير واقع الناس وتفاوتهم فيما بينهم في الغنى والفقر وذلك مشاهد وإذا كانوا عاجزين عن هذا فعجزهم أظهر أن يرتقوا في الأسباب ويصعدوا في المعارج التي يتوصل بها إلى العرش حتى يرتقوا عليه ويدبروا أمر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحي على من يختارون.

الرابع: أن الله وصفهم بالجهل وتعجب من اعتراضهم وتحكمهم وأن يكونوا هم المدبرين لأمر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بها والمتولين بقسمة رحمة الله التي لا يتولاها إلا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته، وضرب لهم مثلاً فأعلم أنهم عاجزون عن تدبير خاصة أمرهم وما يصلحهم في دنياهم وأن الله هو الذي قسم معيشتهم وقدرها ودبر أحوالهم ولو تركهم لأنفسهم وولاهم تدبير أمورهم لضاعوا وهلكوا، وإذا كانوا في

تدبير المعيشة الدنية في الحياة الدنيا على هذه الصفة فما ظنك في تدبير أمور الدين الذي هو رحمة الله الكبرى ورأفته العظمى.. وهذا ما عناه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف :٣٢].

سابعًا: يجب أن يكون صاحب الحق ثابتًا على حقه، راسخًا على عقيدته، لا يتحرك ولا تنثني عزائمه أمام العروض وأمام المغريات، ولقد ضرب رسول الله ﷺ المثل الأعلى في ذلك.

فلا كثرة مطالبهم جعلته ﷺ يسلم لهم ولا تعنتهم جعله ﷺ يخرج عن حلمه وصبره عليهم، وكانت مقولة النبي ﷺ التي يرددها في غير ملل ولا كلل، بعد كل عرض يعرضوه عليه يقول ﷺ: **«ما أنا بفاعل، وما أنا بالذي يسأل ربه هذا وما بعثت إليكم بهذا، ولكن الله بعثني بشيرًا ونذيرًا، فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم».**

وهذه العبارة تؤكد معالم رسالة النبي ﷺ، فلم يرسل ليأتمر بأمر المشركين وما بُعث ليسأل ربه عن الأمور التي طلبوها منه، وإنما بعثه الله بشيرًا ونذيرًا ورسالته لا إكراه فيها -وهو لا يملك سلطانًا عليهم- ومن ثم فهو يخيرهم بين الإيمان به والتصديق برسالته وهذا يترتب عليه الخير لهم في الدنيا والآخرة، وبين ردهم لأمر الله -ورسالة نبيه- وهذا يترتب عليه الصبر لأمر الله حتى يفصل الله بينه وبينهم.

ثامنًا: يصل الجهل مداه والكبر غايته وعدم تقدير الأمور مبلغه حين يطلب المشركون من النبي ﷺ أن يسقط عليهم كسفًا من السماء، إنها اللجاجة والعمى والضلال.

إن بني إسرائيل كانوا أذكى وأحرص من مشركي العرب، فقد طلب الحواريون من سيدنا عيسى عليه السلام ما حكاه القرآن الكريم: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة :١١٢-١١٣].

هذا ما طلبه الحواريون على عهد سيدنا عيسى عليه السلام، أما مشركو مكة، فقد طلبوا من النبي ما حكاه القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال :٣٢].

هنا لم يخرج النبي ﷺ عن حلمه وصبره وإنما ظل متحليًا بالسكينة والوقار والثقة بالله عز وجل يسايرهم في طلبهم ولم يدعُ الله عليهم وإنما بمنتهى الثقة -رد الأمر إلى الله- فقال رسول الله ﷺ: (ذلك إلى الله إن شاء الله أن يفعله بكم فعله).

لم يرد على هذا ﷺ وإنما فوض الأمر إلى الله وسلم الأمور إليه، ولم يغضب ولم يجهل عليهم، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه أصحاب الحق في كل زمان ومكان أمام أهل الباطل.

تاسعًا: والسخرية سلاح يتسلح به أصحاب الأهواء ومتبعو الباطل.. لقد قال أهل مكة للنبي على سبيل السخرية والاستهزاء **«يا محمد أفما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ونطلب منك ما نطلب فيتقدم فيعلمك ما تراجعنا به ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا»**.

لقد ألقوا بكل سلاح في وجه النبي ﷺ، فلم يزد ذلك النبي إلا حلمًا وصبرًا وتحملاً، بعد أن عجزوا أمام النبي إذا بهم يتحدون الله في عليائه جل وعلا، إنهم يقولون للنبي إن ربك يعلم بمجلسنا ويعلم مطالبنا، فلم لم يخبرك

حتى تخبرنا وتريحنا.

ولكن النبي ﷺ رد على سخريتهم بالصبر وعدم مجاراتهم في باطلهم ترفعًا عن مجادلتهم ومنازلتهم، وهذا ما ينبغي أن يقوم به أصحاب الحق في جدالهم مع أهل الباطل فأحيانًا لا يفهم أهل الباطل خطورة ما يقولون وما يطالبون به، ومن ثم يجب على صاحب الحق أن يعرض عنهم، ويقول ما حكاه القرآن الكريم عن جماعة من أهل الكتاب أسلموا: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص :٥٥].

عاشرًا: في كثير من الأحيان يدخل أهل الباطل في جدال ومناظرة مع أهل الحق وعندهم حكم مسبق ونتيجة معلومة، مهما حاول أصحاب الحق إقناعهم وإقامة الحجج والإتيان بالبراهين، على فساد معتقد أهل الباطل نراهم يصرون، ويصممون على باطلهم والدليل على ذلك ما ذكره أهل مكة للنبي ﷺ: (إنه قد بلغنا أنك إنما يعلمك هذا -رجل- باليمامة يقال له «**الرحمن**» وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبدًا.. إذًا عدم الإيمان نتيجة مسبقة وحكم عندهم لا يقبل التبديل والتغيير، ولذلك عمدوا إلى التهديد والوعيد، بعد أن عجزوا عن مواجهة الحجة بالحجة فقالوا: «**وإنا لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا**»[1].

وقد أكثر القرآن الكريم من عرض نماذج من جدال المشركين للرسول الكريم ﷺ، وقد تركزت هذه النماذج حول طلب المعجزات من النبي ﷺ، وحول كون القرآن ليس من عند الله وإنما هو أساطير الأولين -إلى غير ذلك- وقد عرضنا نماذج من جدال المشركين في مكة مع النبي ﷺ. حتى يتعلم الدعاة إلى الله، كيف يناقشون، ويصبرون وكيف يعرضوا دعوتهم إلى الله.

* * *

(١) انظر سيرة ابن هشام (٢٩٤/١، ٢٩٥).

المبحث الرابع

نماذج من الخلاف والجدال في عهد الخلفاء الراشدين

أولاً: اختلافات اجتهادية:

هناك اختلافات بين الصحابة وقعت في حال مرضه ﷺ وبعد وفاته ﷺ، وهذه الاختلافات «**اجتهادية فإن غرضهم منها إقامة مراسم الشرع وإدامة مناهج الدين**»[1] كما يقول «**الشهرستاني**».

وأما الاختلافات الواقعة في حال مرضه عليه الصلاة والسلام وبعد وفاته بين الصحابة رضي الله عنهم، فهي اختلافات اجتهادية كما قيل، كان غرضهم منها إقامة مراسم الشرع، وإدامة مناهج الدين.

فأول تنازع في مرضه ﷺ فيما رواه أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري بإسناده عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه، قال: لما اشتد بالنبي ﷺ مرضه الذي مات فيه قال: (ائتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعدي) فقال عمر رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع، حسبنا كتاب الله، وكثر اللغط، فقال النبي ﷺ: (قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع) قال ابن عباس: الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله ﷺ.

الخلاف الثاني: في مرضه أنه قال: (جهزوا جيش أسامة، لعن الله من تخلف عنه) فقال قوم: يجب علينا امتثال أمره، وأسامة قد برز من المدينة. وقال قوم: قد اشتد مرض النبي ﷺ فلا تسع قلوبنا مفارقته، والحالة هذه،

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني (١/٢٢).

فنصبر حتى نبصر أي شيء يكون من أمره.

وإنما أوردت هذين التنازعين، لأن المخالفين ربما عدوا ذلك من الخلافات المؤثرة في أمر الدين، وليس كذلك، وإنما كان الغرض كله: إقامة مراسم الشرع في حال تزلزل القلوب، وتسكين ثائرة الفتنة المؤثرة عند تقلب الأمور.

الخلاف الثالث: في موته ﷺ، قال عمر بن الخطاب: من قال إن محمدًا قد مات قتلته بسيفي هذا، وإنما رفع إلى السماء كما رفع عيسى عليه السلام، وقال أبو بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه: من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد إله محمد فإن إله محمد حي لم يمت ولن يموت، وقرأ قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران :١٤٤] فرجع القوم إلى قوله وقال عمر رضى الله عنه: كأني ما سمعت هذه الآية حتى قرأها أبو بكر رضي الله عنه.

الخلاف الرابع: في موضع دفنه عليه الصلاة والسلام، أراد أهل مكة من المهاجرين رده إلى مكة لأنها مسقط رأسه، ومأنس نفسه وموطئ قدمه، وموطن أهله، وموقع رحله، وأراد أهل المدينة من الأنصار دفنه بالمدينة لأنها دار هجرته، ومدار نصرته، وأرادت جماعة نقله إلى بيت المقدس لأنه موضع دفن الأنبياء، ومنه معراجه إلى السماء، ثم اتفقوا على دفنه بالمدينة لما روي عنه عليه الصلاة والسلام: (الأنبياء يدفنون حيث يموتون).

الخلاف الخامس: في الإمامة، وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سُل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سُل على الإمامة في كل زمان، وقد سهل الله تعالى في الصدر الأول، فاختلف المهاجرون والأنصار فيها فقالت الأنصار منا أمير ومنكم أمير واتفقوا على رئيسهم

سعد بن عبادة الأنصاري، فاستدركه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في الحال بأن حضرا سقيفة بني ساعدة، وقال عمر: كنت أزور في نفسي كلامًا في الطريق، فلما وصلنا السقيفة أردت أن أتكلم فقال أبو بكر: مه يا عمر، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر ما كنت أقدره في نفسي كأنه يخبر عن غيب، فقبل أن يشتغل الأنصار بالكلام مددت يدي إليه فبايعته وبايعه الناس وسكنت الفتنة، إلا أن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله المسلمين شرها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه، فأيما رجل بايع رجلاً من غير مشورة فإنهما تَغِرَّة[1] يجب أن يقتلا.

وإنما سكتت الأنصار عن دعواهم لرواية أبي بكر عن النبي ﷺ: **«الأئمة من قريش»** وهذه البيعة هي التي جرت في السقيفة، ثم لما عاد إلى المسجد انثال الناس عليه وبايعوه عن رغبة سوى جماعة من بني هاشم وأبي سفيان من بني أمية، وأمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه كان مشغولاً بما أمره النبي ﷺ من تجهيزه ودفنه وملازمة قبره من غير منازعة ولا مدافعة.

الخلاف السادس: في أمر فدك والتوارث عن النبي ﷺ، ودعوى فاطمة عليها السلام وراثة تارة، وتمليكًا أخرى حتى دفعت عن ذلك بالرواية المشهورة عن النبي ﷺ **«نحن معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة»**.

الخلاف السابع: في قتال مانعي الزكاة فقال قوم: لا نقاتلهم قتال الكفرة. وقال قوم: بل نقاتلهم حتى قال أبو بكر رضي الله عنه: لو منعوني عقالاً مما أعطوا رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه، ومضى بنفسه إلى قتالهم، ووافقه جماعة الصحابة بأسرهم، وقد أدى اجتهاد عمر رضي الله عنه في أيام خلافته إلى رد السبايا والأموال إليهم وإطلاق المحبوسين منهم والإفراج عن أسرهم.

---

(١) تغرة: غرر بنفسه تغريرًا، وتغره نفسه: عرضها للهلاك.

الخلاف الثامن: في تنصيص أبي بكر على عمر بالخلافة وقت الوفاة، فمن الناس من قال: وليت علينا فظًا غليظًا، وارتفع الخلاف بقول أبي بكر: لو سألني ربي يوم القيامة لقلت: وليت عليهم خيرهم لهم.

وقد وقع في زمانه اختلافات كثيرة في مسائل ميراث الجد، والإخوة والكلالة وفي عقل الأصابع، وديات الأسنان، وحدود بعض الجرائم التي لم يرد فيها نص، وإنما أهم أمورهم: الاشتغال بقتال الروم، وغزو العجم، وفتح الله تعالى الفتوح على المسلمين وكثرت السبايا والغنائم، وكانوا كلهم يصدرون عن رأي عمر رضي الله عنه، وانتشرت الدعوة، وظهرت الكلمة، ودانت العرب، ولانت العجم.

الخلاف التاسع: في أمر الشورى واختلاف الآراء فيها، واتفقوا كلهم على بيعة عثمان رضي الله عنه، وانتظم الأمر واستمرت الدعوة في زمانه، وكثرت الفتوح، وامتلأ بيت المال، وعاشر الخلق على أحسن خلق، وعاملهم بأبسط يد، غير أن أقاربه من بني أمية قد ركبوا نهابر[1] فركبته، وجاروا فجير عليه، ووقعت في زمانه اختلافات كثيرة وأخذوا عليه أحداثًا كلها تحامل على بني أمية.

منها: رده الحكم بن أمية إلى المدينة بعد أن طرده رسول الله ﷺ وكان يسمى طريد رسول الله، وبعد أن تشفع إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أيام خلافتهما فما أجابا إلى ذلك، ونفاه عمر من مقامه باليمن أربعين فرسخًا.

ومنها: نفيه أبا ذر إلى الربذة، وتزويجه مروان بن الحكم بنته، وتسليمه غنائم إفريقية له وقد بلغت مائتي ألف دينار[2].

---

(١) نهابر: مهالك.

(٢) انظر: الرأي الحق في هذه الأمور كلها، في كتاب العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي، ففيه بيان واف، لتخريج هذه الأمور.

ومنها: إيواؤه عبد الله بن سعد بن أبي السرح، وكان رضيعه بعد أن أهدر النبي ﷺ دمه، وتوليته إياه مصر بأعمالها، وتوليته عبد الله بن عامر البصرة حتى أحدث فيها ما أحدث، إلى غير ذلك مما نقموا عليه، وكان أمراء جنوده: «معاوية بن أبي سفيان» عامل الشام، و«سعد بن أبي وقاص» عامل الكوفة، وبعده «الوليد بن عقبه»، و«سعيد بن العاص»، و«عبد الله بن عامر» عامل البصرة، و«عبد الله بن سعد بن أبي السرح» عامل مصر، وكلهم خذلوه، ورفضوه حتى أتى قدره عليه، وقتل مظلومًا في داره، وثارت الفتنة من الظلم الذي جرى عليه، ولم تسكن بعد.

الخلاف العاشر: في زمان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بعد الاتفاق عليه وعقد البيعة له. فأوله: خروج «طلحة والزبير» إلى مكة، ثم حمل عائشة إلى البصرة ثم نصب القتال معه، ويعرف ذلك بحرب الجمل، والحق أنهما رجعا وتابا، إذ ذكرهما أمرًا فتذكراه، فأما «الزبير» فقتله «ابن جرموز» بقوس وقت الانصراف، وهو في النار لقول النبي ﷺ: (بشر قاتل «ابن صفية» بالنار)، وأما «طلحة» فرماه «مروان بن الحكم» بسهم وقت الإعراض فخر ميتًا، وأما «عائشة» رضي الله عنها فكانت محمولة على ما فعلت، ثم تابت بعد ذلك ورجعت، والخلاف بينه وبين «معاوية»، وحرب صفين، ومخالفة الخوارج، وحمله على التحكيم ومغادرة عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري، وبقاء الخلاف إلى وقت وفاته مشهور، وكذلك الخلاف بينه وبين الشراة المارقين بالنهروان عقدًا وقولاً، ونصب القتال معه فعلاً ظاهرًا معروف.

وبالجملة كان علّي رضي الله عنه مع الحق، وظهر في زمانه الخوارج عليه مثل «الأشعث بن قيس»، و«مسعود بن فدكي التميمي»، و«زيد بن حصين الطائي»، وغيرهم، وكذلك ظهر في زمانه الغلاة في حقه مثل: «عبد الله بن سبأ» وجماعة معه، ومن الفريقين ابتدأت البدعة والضلالة، وصدق فيه قول النبي ﷺ:

(يهلك فيه اثنان: مُحبٌّ غالٍ ومبغض قالٍ)[١].

ثانيًا: اختلافات أصولية:

وهذه الاختلافات هي ما وقعت بين الفرق بعضها والبعض الآخر، وبين هذه الفرق وما عليه المسلمون في عهد الخلفاء الراشدين.

ولنأخذ أمثلة من تلك الخلافات وكيف كانت تواجه وتناقش من أصحاب الحق والرأي السديد من صحابة النبي ﷺ.

ولناخذ الخوارج كنموذج:

سموا بالخوارج لخروجهم على الإمام علي رضي الله عنه وأولهم: كما يقول البغدادي في الفرق بين الفرق: «**يزيد بن عاصم المحاربي وقيل: رجل من ربيعة من بني يشكر وكان مع علي بصفين فلما رأى اتفاق الفريقين على الحكمين[٢] استوى على فرسه وحمل على أصحاب معاوية وقتل منهم رجلًا وحمل على أصحاب علي وقتل منهم رجلًا ثم نادى بأعلى صوته: ألا إني قد خلعت عليًا ومعاوية وبرئت من حكمهما ثم قاتل أصحاب علي حتى قتله قوم من همدان**»[٣].

لقد كون الخوارج فرقة -لم تكتف بمخالفة المسلمين فكريًا- ولكنهم تعودا الفكر إلى السلاح والقوة، فكفروا مخالفيهم وأقاموا في كثير منهم القتل، وقد انبرى لهم صحابة النبي ﷺ يردون على ما أثاروه من آراء، وجادلوهم بالحجة والموعظة، فمنهم من استجاب ومنهم من استمر في غيه ولم يرجع إلى الحق.

وتحدثنا كتب الفرق والمقالات عن المناظرات التي جرت بين سيدنا علي وبينهم وبين ابن عباس رضي الله عنه.

(١) انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص (٢٠-٢٦).
(٢) الملل والنحل للشهرستانى (٢٢/١) .
(٣) الفرق بين الفرق ص (٧٥) .

ولنأخذ تصوير البغدادي لتلك الفرقة، يقول: ثم إن الخوارج بعد رجوع علي من صفين إلى الكوفة انحازوا إلى حروراء، وهم يومئذ اثنا عشر ألفًا ولذلك سميت الخوارج حرورية وزعيمهم يومئذ «عبد الله بن الكواء»، و«شيث بن ربعي» وخرج إليهم علي يناظرهم فوضحت حجته عليهم فاستأمن إليه ابن الكواء مع عشرة من الفرسان وانحاز الباقون منهم إلى النهروان وأمروا على أنفسهم رجلين أحدهما: «عبد الله بن وهب الراسبي» والآخر «حرقوص بن زهير البجلي» المعروف «بذي الثوية»، والتقوا في طريقهم على نهروان برجل رأوه يهرب منهم فأحاطوا به، وقالوا له: من أنت؟ قال: أنا عبد الله بن خباب بن الأرت فقالوا له: حدثنا حديثًا سمعته عن أبيك عن رسول الله ﷺ، فقال: سمعت أبي يقول قال رسول الله ﷺ: (ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي فمن استطاع أن يكون مقتولاً، فلا يكونن قاتلاً) فشدت عليه رجل من الخوارج يقال له سمع بسيف قتله فجرى دمه فوق النهر كالشراك إلى الجانب الآخر، ثم إنهم دخلوا منزله وكان في القرية التي قتلوه على بابها، فقتلوا ولده وجاريته أم ولده. ثم عسكروا بنهروان، وانتهى خبرهم إلى علي رضي الله عنه فسار إليهم في أربعة آلاف من أصحابه وبين يديه «عدي بن حاتم» الطائي وهو يقول:

نسير إذا ما كاع قوم وبلدوا	برايات صدق كالنسور الخوافق
إلى شر قوم من شراة تحيزوا	وعادوا إله الناس رب المشارق
طغاة عماة مارقين عن الهدى	وكل يرى في قوله غير صادق
وفينا ذو المعالي يقودنا	إليهم جبارًا بالسيوف البوارق

فلما قرب علي منهم أرسل إليهم: أن سلموا قاتل بن خباب، فأرسلوا إليه: إنا كلنا قتله، ولئن ظفرنا بك قتلناك، فأتاهم علي في جيشه، وبرزوا إليه بجمعهم، فقال لهم قبل القتال: ماذا نقمتم مني؟ فقالوا له: أول ما نقمنا منك أنا قاتلنا بين يديك يوم الجمل، فلما انهزم أصحاب الجمل أبحت لنا ما وجدنا في عسكرهم من المال، ومنعتنا من سبي نسائهم وذراريهم، فكيف

استحللت مالهم دون النساء والذرية؟ فقال: إنما أبحت لكم أموالهم بدلاً عما كانوا أغاروا عليه من بيت مال البصرة قبل قدومي عليهم، والنساء والذرية لم يقاتلونا، وكان لهم حكم الإسلام بحكم دار الإسلام، ولم يكن منهم ردة عن الإسلام، ولا يجوز استرقاق من لم يكفر، وبعد لو أبحت لكم النساء أيكم يأخذ عائشة في سهمه؟ فخجل القوم من هذا، ثم قالوا له: نقمنا عليك محو إمرة أمير على اسمك في الكتاب بينك وبين معاوية لما نازعك معاوية في ذلك، فقال: فعلت مثل ما فعل رسول الله ﷺ يوم الحديبية حتى قال له سهيل بن عمرو: لو علمت أنك رسول الله لما نازلتك، ولكن اكتب باسمك واسم أبيك، فكتب: (هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو) وأخبرني رسول الله ﷺ أن لي منهم يوماً مثل ذلك فكانت قصتي في هذا مع الأبناء قصة رسول الله ﷺ مع الآباء، فقالوا له: فلم قلت للحكمين، إن كنت أهلاً للخلافة فأثبتاني، فإن كنت في شك من خلافتك فغيرك بالشك فيك أولى، فقال: إنما أردت بذلك النصفة لمعاوية، ولو قلت للحكمين احكما لي بالخلافة لم يرض بذلك معاوية، وقد دعا رسول الله ﷺ نصارى نجران إلى المباهلة وقال لهم: ﴿تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١] فأنصفهم بذلك من نفسه، ولو قال: «**أبتهل فأجعل لعنة الله عليكم**» لم يرض النصارى بذلك، لذلك أنصفت أنا معاوية من نفسي، ولم أدر غدر عمرو بن العاص، قالوا: فلم حكمت الحكمين في حق كان لك؟ فقال: وجدت رسول الله ﷺ قد حكم سعد بن معاذ في بني قريظة، ولو شاء لم يفعل وأقمت أنا أيضًا حكمًا، لكن حكم رسول الله ﷺ قد حكم بالعدل، وحكى خدع حتى كان من الأمر ما كان، فهل عندكم شيء سوى هذا؟ فسكت القوم، وقال أكثرهم: صدق والله، وقالوا: التوبة، واستأمن إليه منهم يومئذ ثمانية آلاف، وانفرد منهم أربعة آلاف بقتاله مع عبد الله بن وهب الراسبي وحرقوص بن

زهير البجلي، وقال علي للذين استأموا إليه، اعتزلوني في هذا اليوم، وقال لأصحابه: قاتلوهم، فوالذي نفسي بيده لا يقتل ما عشرة ولا ينجو عشرة منهم، فقتل من أصحاب علي يومئذ تسعة وهم: «**ذويبة بن وبرة البجلي**»، و«**سعد بن مجلد السبيعي**»، و«**عبد الله بن حماد الجريري**»، و«**رفاعة بن وائل الأرحبي**»، و«**الفياض بن خليل الأزدي**»، و«**كيسوم بن سلمة الجهني**»، و«**عتبة بن عبيد الخولاني**»، و«**جميع بن جشم الكندي**»، و«**حبيب بن عاصم الأودي**» قتل هؤلاء التسعة تحت راية علي رضي الله عنه فحسب وبرز «**حرقوص بن زهير**» إلى علي وقال: يا ابن أبي طالب، لا نريد بقتلك إلا وجه الله والدار الآخرة، وقال له علي: بل منكم كما قال الله عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤] منهم أنت ورب الكعبة، ثم حمل عليه في أصحابه، وقتل عبد الله بن وهب في المبارزة، وصرع ذو الثدية عن فرسه، وقتلت الخوارج يومئذ فلم يفلت منهم غير تسعة أنفس، صار منهم رجلان إلى سجستان، وتابعهما خوارج سجستان، ورجلان إلى اليمن ومن أتباعهما أباضية اليمن، ورجلان صارا إلى عمان، ومن أتباعهما خوارج عمان، ورجلان صارا إلى ناحية الجزيرة، ومن أتباعهما كان خوارج الجزيرة، ورجل منهم صار إلى تل موزن، وقال علي لأصحابه يومئذ: اطلبوا ذا الثدية فوجدوه تحت دالية ورأوا تحت يده عند الإبط مثل ثدي المرأة، فقال: صدق الله ورسوله وأمر فقتل.

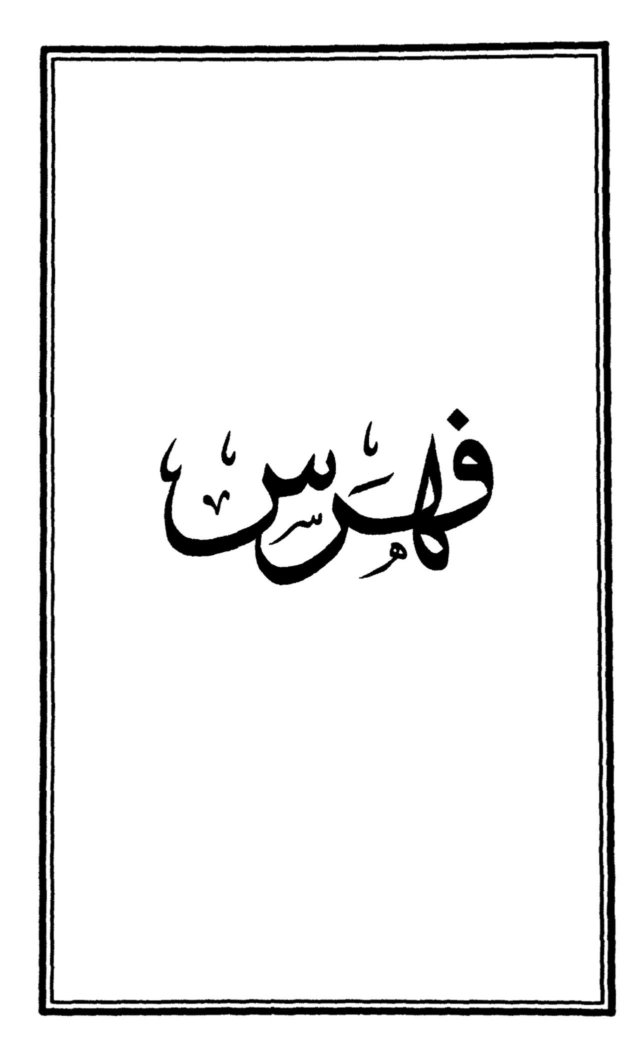
فهذه قصة المحكمة الأولى، وكان دينهم إكفار علي، وعثمان وأصحاب الجمل، ومعاوية، وأصحابه، والحكمين، ومن رضى بالتحكيم، وإكفار كل ذي ذنب ومعصية.

ثم خرج على عليّ بعد ذلك من الخوارج جماعة كانوا على رأي المحكمة الأولى، منهم «**أشرس بن عوف**»، وخرج عليه بالإنبار وغفلة التيمي من تيم عدي، خرج عليه «**بماسبذان**»، و«**الأشهب بن بشر العرني**»، خرج عليه «**بجرجرايا**»

و«سعد بن قفل»، خرج عليه بالمدائن و«أبو مريم السعدي»، خرج عليه في سواد الكوفة، فأخرج عليّ إلى كل واحد جيشًا مع قائد حتى قتلوا أولئك الخوارج ثم قُتل عليّ رضي الله عنه في تلك السنة في شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين من الهجرة[١].

* * *

(١) انظر: الفرق بين الفرق ص (٧٨: ٨١).


فهرس

فهرس الموضوعات

* * *

مناهج البحث
وآداب الحوار والمناظرة

هذا الكتاب عن مناهج البحث العلمى خاصة النظرية، نقدمه بين يدى القراء ليسترشدوا به، فى بحوثهم العلمية خاصة عند كتابة الرسائل الجامعية من ماجستير ودكتوراه وبحوث المؤتمرات العلمية وكذا عند تحقيق المخطوطات القديمة - كل ذلك بخطوات منهجية متسلسلة بحيث لا نعدوا الحقيقة إذا قلنا بأن هذا الكتاب يعد بمثابة الإطار النظرى الذى يضعه أى باحث أمامه ليطبق على أساسه - بحوثه العلمية.

وقد اهتم الكتاب بآداب الحوار والمناظرة وأنواع الجدل المحمود منه وضوابطه، والمذموم ومظاهرة.

وختم الكتاب بنماذج من الجدال الذى دار بين الرسول ﷺ وبين معار استخرج منها المؤلف القواعد والأصول التى يجب على الدعاة أن يتعلموا ه يسلكوها فى حوارهم ومناظراتهم.

I.S.B.N. 977 - 344 - 087 - 7